
الدكتور محمد بن سعد الشويعر
المرأة
بين نور الإسلام
وظلام الجاهلية
دار الصحوة للنشر
القاهرة

الدكتور محمد

المرأة
بين نور الإسلام وظلام الجاهلية

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
٧ شارع السراى بالمنيل ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان - مدينة الهدى ت : ٦٨٨٠٧١

الدكتور محمد بن سعد الشويعر

المرأة بين نور الإسلام وظلام الجاهلية



القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

«نظرة الإسلام للمرأة .. ونظرتهم»

من الأشياء التي يعيبها الغرب على المجتمع الإسلامي، أو يحاول جاهداً إثارتها ليبلبل الأفكار، ويحرك به شعوراً لدي أصحاب الجنوح المائل، والنزعات المختلفة، والأمزجة المتباينة: فكرة تحجب المرأة المسلمة، واستقرارها في بيتها، وعدم تبرجها.

ثم يسعون جاهدين لتغيير هذا الطابع المميز، الذي حفظ للمرأة كرامتها، وأبقي على وقارها، ورفع من قدرها، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصاري حتى تتبع ملتهم﴾[1] .

وهذه شبهات يثيرها أعداء الإسلام في كل مكان، وسوف يكون لنا معهم بإذن الله وقفات عديدة، ننقل فيها نماذج واقعية لما آلت إليه المرأة هناك. كبرهان على ضياعهم، وما

---

(١) سورة البقرة آية: ١٢٠.

شهدوا به لحالات المرأة المسلمة التي حفظها الله بتعاليم دينه، كدليل على مكانتها، وسمو تعاليم الإسلام.

وإن الرأي المناسب في رد وجهة نظرهم المجملة هذه، وتصحيح ما يحاولون إعابته على المجتمع الإسلامي من باب التشكيك في تعاليم الإسلام وشمولها، ثم صلاحها لكل عصر، وتطورها مع متطلبات الحياة.

هذا الرأي يرتكز في مقارنة عاجلة على حالتين:

- حالة المجتمع الغربي والأمريكي وأثر الإنحلال فيه أخلاقياً واجتماعياً وأسرياً.

- وحالة المجتمع الإسلامي واستقراره، وما يصل بين أفراده من ترابط ومحبة، وما يؤلف بينهم من وئام وتقارب.

- وما ذلك إلا لأن دين الإسلام، قد صان المرأة، وأبقي على الأسرة، وحفظها من التفكك.

ففي الحالة الأولى: نرى الأسرة عندهم قد انفصمت عراها، وتقطعت أوصالها، بعد أن انحلت الروابط التي تشدّ بعضها ببعض، كما تحكمت فيهم الشهوات بعد أن طغت الماديات: فالفرد لايهتم إلا بنفسه أولاً، ولايسأل عن أم وأب، ولاأبناء

أو أقرباء.

حتى البنات أتاح لهن القانون عندهم بأن يتصرفن في أنفسهن، ويعاشرن من شئن لأن كل واحدة حرة في نفسها تتصرف كيف شاءت، وهذا بطبيعه الحال يدفعها للانزلاق خلف الرغبات مما أقض مضجع العقلاء منهم وآلم قلوبهم.

فإذا ضعفت أو انعدمت الرقابة مع حماية القانون الذي جاء في إحدى مواده: بأن الولد والبنت بعد بلوغ الثامنة عشر - في الأغلب - فليس للوالدين أو غيرهما سلطة حول التصرفات الأخلاقية، وعليهما أن يتحملا المسئولية بأنفسهما.

والفتاة تصل إلي هذا السن وهو سن النضج ودخول الجامعة، ولم تحصن وتهيأ عند تفتح الوعي في نفسها، بما تستطيع التمييز به بين الخبيث والطيب، ولا بما يجب أن تعمله، وما يجب أن تتركه: ذلك أن فاقد الشيء لايعطيه، بل العكس هو ما يلمسه من يدخل المدارس في التعليم العام هناك، وذلك بإدخال مادة الثقافة الجنسية التي تلهب المشاعر عند سن البلوغ.

ونتيجة ذلك، مع الاختلاط في التعليم أرقام مخيفة من الإنحلال الخلقي، وأولاد غير شرعيين.

إن طغيان المادة، وأهواء النفس، قد بلغ بهؤلاء القوم إلى التعديل والتطاول فيما فرضه الله من شرائع وأوامر، والتبديل فيما جاء من عند الله، ونزل عليهم في كتب ويتزعم هذا الأمر اليهود الذين عدلوا في كتبهم حسبما تصف ألسنتهم، وأبان عنهم القرآن الكريم ذلك: ﴿ واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[1] .

ففي المواريث جعلوا للمتوفى حقّ التصرف في ماله يوزعه بوصية يكتبها محاميه، وله فيها أن يبدد هذا المال كيفما شاء: فيحرم أقاربه وأسرته وأبناءه وبناته لخلاف شخصي طالما حدث مثله بين الأب وأبنائه.

وبهذا التصرف يتركهم للضياع، ثم يبدد ثروته في هذه الوصية على من يريد، وقد يصل الأمر لأمور مضحكة بإعطاء القطط والكلاب، وجمعيات الرفق بالحيوان وغير ذلك، مما دفعهم إلى تكوين جمعيات ترعى شئونها، وتجمع أموالها،

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.

وتتصرف فيها كيفما تشاء.

ومن هنا ضاعت الأسرة، وتفككت أواصر وروابط المجتمع، وشعروا بالضياع لأن العنصر الهام في رفرفة السعادة على البيوت، واشاعة الألفة بين أفراد المجتمع وأبناء الأسرة: هي المرأة.

والمرأة بهذه التصرفات فقدت مكانتها الطبيعية في تلك المجتمعات وأدخلت مجالات أخرى بالقسر والتعنت لأنها في حاجة إلى المال، وفي حاجة إلى العمل، وفي حاجة إلى أن تعول نفسها، فوالدها أو أمها يطالبها بأجرة الحجرة التي تسكن، والطعام الذي تأكل لبلوغها السن القانوني في الإعالة.

ومن هنا نشأ الشباب والشابات في ضياع، فهم يريدون التعبير عن أنفسهم، والبحث عن ذواتهم بأي أسلوب ملفت للنظر، وبأي شكل يثير الانتباه، فتكون عن هذه العملية فئات أطلقت على أنفسها أسماء مثيرة أمثال: الهيبز، ثم البيتلز.

ولعل أبرز صورة يتجلى فيها ضياع هؤلاء، وفقدان المرأة مكانتها الأساسية، وخروجها عن دورها الذي هيأه الله لها، ما يظهر في بعض المجتمعات هناك من حالات فوضى.

ففي المجتمع الغربي، وبصورة تشمئز منها النفوس نماذج تظهر بصورة واضحة في «محاكمة شارل مانسون» زعيم الهيبز في أمريكا عام ١٩٦٩م، وإجابات الفتاة ليندا إبنة أحد الأغنياء في أمريكا أمام القاضي في أسئلة وإجابات تخدش الحياء، وتتأذى منها الأسماع.

ومن هذا وذاك نلمس الدليل الواضح على انحلال الأسرة الأمريكية التي هي دعامة المجتمع، والعمود الفقري فيه، انحلالاً عجيباً حسبما قالوه هم عن واقعهم ووفقاً لما سجلوه بالأرقام كحدث عادي يمر بهم، ثم في تسخيرهم المرأة، وامتهانهم لكرامتها كإنسان شرّفه الله بالعقل والإدراك، لتكون واجهة في الجريمة، وطُعم سنارة يساعد على الإقتناص.

ولا نسمع أو نقرأ عن عصابة إجرامية هناك، إلا وللمرأة فيها دور كبير مع أنها ضعيفة في تحملها وقدرتها، لينة العواطف في تعاملها.

فأغريت بالمال وسيقت إلى هذه الأمور قهراً. كما سيقت إلى أمور أخرى في الدعاية والإعلان، والملاهي والإعلام.

والأعجب من هذا كله، حماية القانون والمجالس النيابية لمثل هذه الحالات حيث تبيح مواده المعاشرة بين الجنسين، وتتيح

الفرص للخيانات الزوجية، وللعلاقات الآثمة باعتبارها حرية شخصية.

وتضع أمام هذه التصرفات أنواعاً من الحلول التي تفيد عدم المبالاة والتشجيع على استمرار الحال، وتسويفات من التبريرات.

وقد نشأ عن ذلك مئات الألوف - بل ملايين - من الأبناء الذين لايعرفون لهم آباء، وامتلأت الملاجيء ودور الرعاية باللقطاء، وسنوا نظام التبني وشجعوه، وأصبحت نتائج هذه الفوضى عبئاً ثقيلاً على الدولة بأجهزتها المختلفة، وقد ضج العقلاء من الحالة التي آل إليها المجتمع الغربي والشرقي على السواء، فصاروا يطلبون المخرج لما انحدروا إليه، وأعيتهم الحيلة، لأن المحركين لهذا الإنحلال الذي استشرى في الستينات من هذا القرن الميلادي، تحركه أيد خفية تريد مكاسب مادية أولاً، ثم لتسيطر على المجتمع بعد إنحلاله، وانصراف طبقة كبيرة منه عن الحياة الجادة، إلى حياة بويهمية لاهية.

وكنماذج من الحياة أذكر أنني كنت أسير في شتاء عام ١٩٨٠م مع اثنين من الإخوة في أحد شوارع مدينة كلورادو

سبرنج بولاية كلورادو الأمريكية على أقدامنا، من الفندق الذي نسكنه إلى مطعم يقدم أكلات شرقية، بعد أن مللنا الأكل الغربي، والمسافة قصيرة، وفي الطريق مررنا بفتاة على قارعة الطريقة ترتعش برداً، وتومىء بيدها لكل من يمرّ، وتسأله المبيت عنده.

وقبل أن نتركها وشأنها، تطفل أحد الإخوة ليسألها عن حالها، وإذا هي خرجت من البيت مكرهة لأن والدها طالبها بأجرة الغرفة، والمصروف الأسبوعي، لأن سنها بلغ ثمانية عشر عاماً حسب مادة القانون.

ولما لم تستطع فإنه هددها بإقامة دعوى عليها، فخرجت تبحث عن عمل وعمن ينتشلها، وصرنا نرقب حالها، حتى وقف لها صاحب سيارة فارهة فحملها معه.

وعندما استغربت هذا المنظر قال لي أحد الإخوة، لاتستغرب فمثل هذا المنظر في أمريكا أصبح مألوفاً وعادياً.

ولمن يريد تفاصيلاً كاملة عن تصرفات ذلك المجتمع الغربي وآثار ما حلّ بهم من إنحلال فإن عليه قراءة كتاب محاكمات الهيبز الذي ترجمة عبد الرحمن فهمي وطبع بالقاهرة عام ١٩٦٩م.

أما في الحالة الثانية: فنرى هدوء البال، واستقرار النفس، يتجلى أثرهما واضحاً في الأسرة الإسلامية حسب تعليمات مبادىء الإسلام، ووفق ما ترسمه أوامر القرآن الكريم.

وإن التشبع من هذا المعين يهيئ الله به للنفس البشرية من السلوك وحسن الطباع، ما يضفي على المجتمع نموذجاً مميزاً في التصرفات، وعادات من الأخلاق والقيم، هي قمة ما تطمح إليها النفوس الصافية، والأفئدة المستقرة، حيث مكنت ذلك العقيدة الصحيحة، والقناعة التامة بأن هذه التعليمات هي أزكي ما تصبوا إليه الأفئدة، وتحتاج إليه المجتمعات لتستقر وتهدأ، لأن هذه التعليمات جاءت من عند الله، وما كان من عند الله فلا يتطرق إليه الشك، أو تساوره الظنون: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا﴾[١] .

نجد نموذج هذه التعليمات الربانية التي تحرص على إشاعة الألفة في الأسرة، وتكوين عشّ ترفرف عليه المحبة، ينشأ فيه أولاد يشعرون بالرابطة فيه، بين أفراد مجتمعهم الصغير، منذ أن تتفتح عيونهم، وتعي حواسهم، لما يحيط بهم.

---

(١) سورة النساء آية ٨٢.

فالله جلت قدرته، قد فطر النفوس على ذلك، وحثّ أبناء الإسلام على وعي هذا المدلول، حيث قال تبارك وتعالى في مصدر التشريع الأول وهو القرآن الكريم: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[١] .

فلم تكن النفس لتسكن إلا في جو هادىء، متحابّ أفراده، راضية نفوسهم، بما في شرع الله من أوامر، ومنفذة ذلك بقناعة وعلم، وتحت سقف تظلله الألفة والسعادة، ويتحكم فيه هدوء البال.

وبتآلف الزوجين تسكن النفوس، فلا مشكلات ولا منغصات، بل يتعاونان فيما يضفى السعادة على عشهما، ويساعدهما الأبناء في بناء أسرة محيطها الحب والترابط، ومحورها المودة والتناصح.

ويزيد الإسلام ترسيخ الأوامر على توسيع دائرة المحبة في:

- حثه على بر الوالدين لما لهما من دور في تنشئة الطفل والعناية به.

---

(١) سورة الروم آية ٢١

- وتعميق رابطة المحبة بين الأبناء.

- وحثه على عدم إفلات البنات، بل رعايتهن حتى يكبرن ويتزوجن ، لما في المثابرة على هذا من مغالبة للنفس، وحرص علي عدم إضعاف عنصر الرقابة والعناية. ففي الحديث: «من عال بنتين أو اختين فأحسن إليهما حتى تكبرا وتتزوجا كانتا حصناً له من النار» أو كما قال ﷺ {انظر جامع الأصول ج١ ص٤١٢}.

ذلك أن الفتاة قبل الزواج من أسرع أفراد المجتمع الأسري استجابة لطواعية النظام والأوامر من جهة. وللإغراء والغواية إذا ضعفت الرقابة عليها من جهة أخرى.

فجاء الإسلام ليربط الحالة الأولى، بالأجر العظيم لولي الأمر، إذا أحسن أداء هذه الأمانة، وأدى دوره كاملاً وفق أوامر الله، ومجاهداً نفسه ومن حوله بالابتعاد عن طريق الغواية والزلل.

ولهذا فتعاليم الإسلام ممثلة في مصدري التشريع: القرآن الكريم. والسنة المطهرة، قد أعطت للمرأة درجة عالية، ورفعت من قدرها، وركزت على مكانتها في الأسرة، لما لها من دور هام في بناء المجتمع فهي الأم والزوجة والبنت والأخت.

وخوفاً من طغيان سلطة الرجل عليها، وتحكم الأنانية والمركزية في نفسه، فقد كبحت تعاليم الإسلام تلك النفوس، بالأوامر المتتابعة التي جاءت في المصدر التشريعي الأول في الإسلام بين ترغيب وترهيب، وخوف ورجاء.

اقرأ قول الله تعالى: ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[١] .

واستمع إلى قول الرسول الكريم ﷺ : «لئن تتركوا أولادكم أغنياء، خيراً من أن تتركوهم فقراء يتكففون الناس أعطوهم أو منعوهم».

ففي هذين النصين وغيرهما كثير في مصدري التشريع الإسلامي: كتاب الله وسنة نبية محمد ﷺ تحريكا للقلوب نحو الأبناء - أولاداً وبناتاً - ورعايتهم والإهتمام بأحوالهم.

ولعل أبلغ توجيه أشار إليه الإسلام بضرورة المحافظة على شرف الفتاة، وصيانة عفتها، ورعايتهاحتى تصبح في حمى الزوج وأماً لأطفاله يظللهما بيت الزوجية الذي تعيش فيه،

---

(١) سورة النساء آية ٩.

مالكة لأمره، متصرفة لشئونه لقوله ﷺ: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتين أو أختين، فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن فله الجنة»[١] رواه أبو داود والترمذي.

فالمرأة في نظر الإسلام أمانة في عنق الرجل، وجوهرة مصونة في كنفه، يرعاها ويوجهها، ويهتم بشئونها ويؤديها، سواء كان أباً أو أخاً، أو زوجاً أو ابناً، أو من له حق الكفالة والنفقة.

والكفيل أو الولي هو من له حق الإئتمار بأمر الله، وطاعته فيما تولى من أمر المرأة، والتقيد بموجب شرعه، ولها عليه الحق في ماله بالنفقه، والرعاية وحسن التوجيه قال الله تعالى: ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة﴾[٢]

فللنساء حقوق مثل ما عليهن من واجبات، ويتم هذا بالعشرة الحسنة والتقارب والتآلف، إلا أن درجة الرجال تزداد بما ينفقون من أموالهم، وبما يبذلون من جهودهم في الحماية والدفاع.

---

(١) انظر جامع الأصول ج١ ص ٤١٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٨.

ولقد كانت المرأة قبل الإسلام: عند الرومان والإغريق، وعند العرب في الجاهلية وعند الأمم الوثنية غيرهم، لاقيمة لها فهي تباع وتشترى، ويسري عليها ما يسري علي المتاع بعد وفاة صاحبه، وعند العرب يئدونها وهي حية.

فجاء الإسلام ليعلى من قدرها، ويحفظ كرامتها، ويخاطبها في التشريع هي والرجل على حدّ سواء، وأعطاها حقوقاً وطالبها بواجبات، وسوف نتعرض في الصفحات القادمة لنماذج من ذلك زيادة عما أوردنا.

فهل هناك بعد هذا مقارنة بين ما عابوه على الإسلام حيال المرأة، وبين ما هم واقعون فيه من تيه وضلال وحيرة وقلق.

فما عابوه على الإسلام تمناه عقلاؤهم ومفكروهم، وما تمنّوا إزالته من المجتمع الإسلامي يتوق إلى التمتع به ذوو الرجاحة في مجتمعهم، بعد أن عانوا آفة ما وصلوا إليه، وأدركوا تأثير حريتهم الشخصية على تصرفات المجتمع، وإنعكاسات ما وصلوا إليه بدعواهم إلى الحرية الشخصية، بدون حدود، وذلك بما وقع على الأسرة، وما طرأ على العلاقات الاجتماعية، من تأثيرات ومشكلات.

ويحضرني بهذه المناسبة قصة الصحفية الأمريكية التي هاجمت الكنيسة بمناسبة دخول السنة الميلادية الجديدة عام ١٩٨٥م، منتقدة الأناجيل التي بين أيدي الناس، وقائلة إن الإسلام أعطى حقوقاً للمرأة أكثر من النصرانية، فالقرآن يخاطب المرأة إلى جانب الرجل، وأنتم تلاحظون أن هذه الأناجيل لايوجد فيها ذكر للمرأة أبداً، فهي منبوذة في ديانتكم.

وتلقوا هذا النقد باهتمام، فاجتمع المجلس الكهنوتي، وقرروا أن هذه الصحفية معها حق، ويجب تعديل طبعة أحد الأناجيل وتضاف فيه المرأة.

هذا مثل بسيط من الأمثلة التي تبرز مكانة الإسلام، وسمو تعاليمه.

فالله جلت قدرته الذي خلق النفوس البشرية، عالم بما يصلح أحوالها، فهي إن لم ترتدع بوازع الدين، والائتمار بتعاليمه عن إقتناع ويقين، وخوف ورهبة، ورجاء وأمل، فإن في الحدود التي فرضت وفي الشرائع التي سنت، وفي الزواجر التي بسطت ما بين دنيوية وأخروية، ما يحد من غلواء النفوس،ويكبح من جماحها في تصرفات الأفراد والجماعات

في المجتمع الإسلامي.

فهل بعد شرع الله الذي بسط، يوجد مجال لأناس يأتون ليمنحوا حريات متعددة للمرأة، في العلاقة واللباس، وفي التصرف والإتصال، وفي شتى مجالات الحياة، ثم يتباكون على الوضع المزري الذي آلت إليه الأسرة، والوضع الذي انحدر إليه المجتمع، ثم يطلبون من ذلك خلاصاً، وإلى الطريق المستقيم ملاذاً، فلا يجدونه، ويعبرون عن عجزهم هذا وتألمهم بحسد المجتمع الإسلامي على ترابطه، وتماسك أسرته، فيتمنون لهم المشابهة ليكونوا مثلهم.

وهذا ما يسعون إليه جاهدين، ليوهموا بعض المسلمين بالتخلف، ويضعوا أمامهم شبهات يلقونها أمام فئة ضعيفة من المسلمين في فهمها، لاتحمل إلا بضاعة مزجاة من العلم والوعي، ويجدون من هذه الفئة مطية سهلة الركوب، وبوقاً ينفخون فيه أفكارهم، ثم يدفعونهم حسداً من عند أنفسهم إلى التطبع بطباعهم، ليعصوا الله فيما أمرهم، وليفعلوا ما يوحون به إليهم، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة وخروجها للمجتمع، والمشاركة في الأعمال التي هي خاصة للرجال، ومزاحمتها لهم، والاختلاط بهم في تبذل وتبرج.

وبهذا يرون أنه قد سهل عليهم التحكم في مشاعر المسلمين، والدخول إلي مجتمعاتهم، والنفاذ إلى خصائص أنفسهم.

متخذين من حديث رسول الله ﷺ «ما تركت على أمتي أشد فتنة من النساء» قاعدة انطلاق ومحور ارتكاز.

فعلى نساء المسلمين وعقلاتهم الإنتباه، وأخذ الحيطة، حماهم الله من التردي إلى الهاوية التي يدفعهم إليها أعداؤهم، ومن مماثلة من لايأتمرون بأمر أو ينتهون عن نهي، حتى لاينطبق عليهم الحديث القدسي الذي رواه رسول الله ﷺ عن ربه: «من عصاني وهو يعرفني، سلطت عليه من لايعرفني».

لقد أصبح البحث عن المال، وابتكار مصادره الجديدة، همة وهدف اليهود في المجتمع الغربي، حيث أن اليهود كما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون، يركزون على المال، الذي به يستعبدون البشر، علي حد قول حكمائهم - ولما كانت الغاية تبرر الوسيلة فإنهم لم يتورعوا عن التكسب بالمرأة كواحدة من السلع الرائجة، ونوع من البضائع التي تدر عليهم مورداً جيداً، وبطريق قصير وسهل.

فقد جعلوها طعماً يصطادون به عقول الرجال، ويستبزون بها

أموالهم. ليحققوا مآربهم في الكسب، وأطماعهم بالجشع، وعواطفهم بالمتعة ممتهنين بذلك كرامة هذا الكائن العاقل الحيّ، ومستغلين ضعفه واستسلامه للحاجة والعوز، بعد أن سدت أمامه السبل النافعة.

فابتكروا مسابقات الجمال المتعددة، وأوجدوا صحف الإغراء التي تحمل الفتنة، ومسابقة ملكات الجمال، وأجمل ساقين، وملكة الإغراء، وأجمل عينين إلى غير ذلك من السلسة التي لاتنتهى، والتي تمتهن العزة، وتذيب الكرامة، وتجعل المرأة مجالاً للمتعة والتسلية بإظهار محاسنها، وإبراز مفاتنها.

ولم يعملوا ذلك عبثاً، بل مهدوا لهذا العمل بدراسات ووضع أنظمة وقوانين تجعل مثل هذا الصنيع مشروعاً، ويمارس في حماية القانون، ومدافعة السلطة، فاستجابت هذه المرأة المظلومة، لهذا النداء وسارت في هذا الدرب بادئ الأمر مكرهة، بوازع فطري من نفسها التي جبلت علي الحياء، وبنداء من المفكرين الذين سرهم هذا العمل.

لكن لما وجدت خطين متباينين: خط العوز والحاجة بعد أن سدت أمامها السبل غير هذاا لطريق المحاط بالأشواك والمغريات.

وخط التنعم والرخاء وهو ما رسم لها، فانحدرت فيه رغبة في الحصول على مورد رزق، يسد الرمق أولاً، ويلبي الحاجة المتزايدة، ثم لكي تستمتع بما حولها من مغريات تهم المرأة وهي الضعيفة التي تنساق حول عواطفها ورغباتها.

وذلك أنه قد تخلّى عنها أقرب الناس إليها، ولم تحصن علمياً وفكرياً من قبل فأصبح لزاماً عليها أن تساهم في إعالة نفسها لتدفع نصيبها من السكن والغذاء، والمواصلات والكساء، حتى ولو كانت تعيش مع أقرب الناس إليها.

وأصبح البحث عن المال هم هذه المرأة، لأنها أصبحت في حكم المنبوذة، وفق قوانينهم الوضعية، فزينوا لها أن تستغل ما وهبها الله في جسمها من بضاعة رائجة، فانحدرت في طريق أرادوه، لتبيع نفسها، وعزتها وكرامتها، وتعرض ما كمن في جسمها من إغراء ومفاتن.

حتى بلغ الأمر إلى أن تنساق في هذا المسلك من لم تفكر أصلاً فيما رموا إليه، حيث نصبوا لها المصائد، ورموا الشباك، ، وأولها اللباس القصير، والفاضح الواصف للجسد، الذي يكشف عن كل محاسن الجسم، وخلف ذلك دور الأزياء التي تبتكر في كل فصل موضة جديدة، وتسير خلفها أسلوب

الدعاية المغري، وطريقة الترويج التي تجذب المرأة بطبيعة نفس، وما أدرك أغلبهن أن خلف ذلك ذئاب جائعة متوثبة تتهيأ لإقتناص ما يحلو لهم من هؤلاء المسكينات اللواتي وقعن فريسة، يحققون بها ما أرادوا من مكاسب مالية، وإفساد للمجتمعات يحقق ما سعوا إليه.

وما جاء في برتوكولات حكماء صهيون، من نظرتهم إلى البشر عموماً على أنهم غنيمة سائغة لهم من حيث التسلط على كل شيء يملكونه بدون حرج، يؤيده النص القرآني الكريم في قول الله جل وعلا: ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون﴾[١] .

فاليهود ومن ينساق معهم في هذا المنحنى عندما أرادوا إيصاد الأبواب الشريفة أمام المرأة، وعندما أرادوا إخراجها من بيتها مهانة ذليلة، وعندما تحكموا في اقتصاد العالم فرفعوا الأسعار كيفما يحلو لهم، فإن هدفهم لم يكن الحصول على أكبر مكسب فحسب، بل لهم هدف آخر بتسليطه على أمة الإسلام، ليضطر الفرد للبحث عن موارد أخرى تعينه على متطلبات الحياة المتزايدة، ولا سبيل لذلك إلا بإخراج المرأة

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٥

للعمل ليزداد دخل الأسرة، أما ضياع الأولاد، وعدم السيطرة على تربيتهم، وفقدانهم حنان الأم فهذا مطلب آخر أرادوه ولم تأخذه بالحسبان الأم المسلمة التي ركضت خلف المادة، ومثلها المرأة الغربية من قبل فأضاعت بذلك المرأة وظيفتها في الحياة وهي تربية الأجيال ورعاية الناشئة.

إن المرأة الغربية التي أخرجتها أنظمة المجتمع، وتفكك الأسرة، من بيتها للشارع، أصبحت كالغريق الذي يبحث عن منقذ، ويهمها في الدرجة الأولى من يحتضنها، وتتلهف إلى من ينتشلها ليشعرها بحنان فقدته، ولو كان مزيفاً.

فكان هذا الحضن الدافىء الذي ارتمت فيه تلك المصائد التي نصبت لها كالطير الذي يقع على الحب وفيه حتفه لكن لامندوحة من ذلك، فالمجتمع هو الذي نبذها وأُسلمها لأيدٍ غير أمينة.

ثم جاءت الدعوة وبإلحاح في المجتمع الإسلامي لهذا المنحى، بتقليد أعمى، تحركه أيدٍ خفية، وأفكار دخيلة على الفكر الإسلامي، وثقافة الإسلام وقيمه وتعاليمه.

فأخذت بعض الصحف السائرة في ركاب أولئك القوم، تحتذي هذا المنهج في أسلوب تقليدي، كرمز للتقدم والحضارة،

ومواكبة المسيرة الغربية، دون إدراك للفارق بين مجتمع ومجتمع، وتمييز بين قيم الإسلام وتعاليمه وأخلاقياته، وما وصلوا إليه في انحدارهم الأخلاقي، وتفككهم الإجتماعي، بطريقهم الشائك، والهوة السحيقة بيننا وبينهم.

ولو أردنا أن نعود للوراء قليلاً: لرأينا الأعداد الأولى من مجلة المصور والكواكب، ومما يصدر عن دار الهلال بمصر في سنواتها الأولى، أو في مجلات مشابهة كانت تصدر في فلسطين وبيروت، وفي كل جزء من العالم الإسلامي، كانت طافحة بهذا النوع.. لكننا لانجد في تلك الصور، ذلك الوقت، والتي تتبوأ المكان الرفيع في كل صحيفة وخاصة صورة الغلاف، واحدة من النساء التي تحمل اسماً إسلامياً.

بل هن جميعاً من بنات العم سام - كما يسمون - ومن يشاركهم في المعتقد، أو بعبارة أخرى من الممثلات والراقصات في بلاد الغرب.

فجاءت أمثال هذه الصحف لترفع من قدرهن، وتعلى من مكانتهن، وتصفهن بنعوت مشوقة ومتعددة للترغيب والإحتذاء هذا من جانب.

ومن جانب آخر لبرز الشر في المجتمع الإسلامي، الذي

يرفض مثل هذا العمل عرفاً وذوقاً لأنه يتنافى مع قيمه وأخلاقه، ويزدري بمن يمتهن مثل هذه الأعمال التي انتقدها أولاً المجتمع الجاهلي. فكيف بالمجتمع الإسلامي، بعد أن حثّ على الإبتعاد عنها مصدر التشريع فيه لما فيها من إفساد للمجتمع، وامتهان لكرامة المرأة، التي جاء الإسلام ليرفع من قدرها، ويعلي من شأنها، تقول هند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان بن حرب، بعد أن بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام، وبعد أن سمعت منه هذه الآية الكريمة: ﴿ ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولايعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفورٌ رحيم﴾[1]

قالت مستغربة ومتنكرة: يارسول الله وهل تزني الحرة؟

ذلك أن المرأة العربية تأنف أن تكون بضاعة تشترى، ودميه يلعب بها، وزهرة يتلهى بريحها طلاب المتعة، ثم يقذفونها في صندوق النفايات، بعد ذهاب ريحها، وذبول منظرها.

---

(١) سورة الممتحنة آية ١٢.

وإذا أردنا ناحية مادية، وما أكثرها في المجتمعات الغربية، فماذا يعني عمل الممثلات والحكيمات والممرضات في معسكرات الجيوش بحجة الترفيه عن الجنود، إنها تعني فضيحة ذلك المجتمع الذي نشر وقائعه الفيلم السينمائي الغربي العالمي «ماش» والفيلم الآخر المسمى «العسكري الأزرق» وغيرهما كثير من أفلامهم السينمائية، التي تنشر الفساد وتقضي على القيم والأخلاق في المجتمعات.

وما أفلام الخلاعة والسكس، إلا نموذج لما ضجت منه بلاد الغرب، بعد أن طفح الكيل، حتى صاروا يصدرونها لبلاد الإسلام لإفسادهم، وقتل معنوياتهم.

ولقد أوشكت نتائج الترفيهات التي أرادوها لجيوشهم في الحروب المتعددة، وفي المعسكرات، بما فيها من انحلال وفساد، مع امتهان لهذا الكائن الحي، الذي يمثل نصف الأمة، ألا وهو المرأة، وتدنيس لكرامتها، وقضاء على وقارها وعفتها، مع نزع برقع الحياء منها، تلك الصفة التي جعلها الله سمة خلقية فيها، وذلك بجعل المرأة وسيلة للترفيه عن الجنود في معسكراتهم، وتسلية للطلاب في جامعاتهم ورحلاتهم ودراساتهم، فهددتهم الأمراض: الأوتس، والأيدز، بما أقلق

عليهم معيشتهم، وضج منه الخائفون من الموت المبكر، لأن انتشاره استشرى بين الشباب والشابات بما يقدر بالملايين في أمريكا وأوربا.

وهو ناشئ من الاتصال غير الشرعي، ويسبب ضعف المقاومة في الجسم وغالباً ما يكون ضحاياه نتيجتهم الموت، ولم يجدوا له علاجاً حتى الآن.

لقد أوشكت أعمالهم تلك أن تدمرهم، بعد أن هددت كيانهم، وظهر أثرها في تقويض معنويات الجنود في المعسكرات، بعد انتشار كثير من الأمراض، نتيجة لسريان الفساد، وتسرب المعلومات العسكرية والعلمية الدقيقة بسبب النساء إلى الأعداء.

فقامت إحدى وزارات الغرب الحربية لتمنع أمثال هذين الفيلمين، إلا أنها ومع الضغوط من الداعين للفساد، والمحبذين لإفساد المجتمعات عادت لتصرح به، لأنه يمثل الدعاية للحرية الشخصية التي يتمتعون بها، والنموذج للتحرر الذي يلف مجتمعاتهم.

كما تناقلت الصحف أخباراً كثيرة في شهر مارس من عام ١٩٨٥م عن مرض الأيدز الذي انتشر بين مضيفات وموظفات

شركة الطيران البريطانية مما أثار فزعاً ليس لدى العاملات والعاملين فقط، بسبب الوفيات التي تحصل منه، ولكن أيضاً أمام الركاب والمتعاملين مع الشركة، مما جعل هذه الشركة تعمل جهداً في الدعاية، وتكثيف العناية الصحية حتى لاتفقد السمعة، وبالتالي يؤثر على دخلها فقط.

هذه أمثله نموذجية وصغيرة من النماذج الكثيرة، والتي ظهرت في المجتمعات الغربية وخاصة في غرب أوربا وشمالها، ويريدونها للمجتمع الإسلامي، ليسهل عليهم السيطرة على خيراته، والتحكم في مقدرات أبنائه لإدراكهم مضمون الحديث الشريف: «ما تركت على أمتي فتنة أشد من النساء».

ولأنها هي الفتنة التي سلطت على بني إسرائيل من قبل.

ولكن قبل أن نتجاوز هذه النقطة، يحسن أن ننعطف على قصة مختصرة، لواحدة من ممثلات هوليود اللواتي يريدونهن نموذجاً للمرأة المسلمة، لكي تقلدها، وتعمل كأعمالها، في دعواتهم ودعاياتهم المتكررة لإفساد المجتمع الإسلامي.

هذه المرأة ممن بلغن قمة الشهرة في الدعاية، والسيطرة على المال، وما يبدو على حالتها من النعيم والترف، حسبما أحيطت

به سمعتها إعلامياً، بما تنشره عنها مجلاتهم، والمجلات العربية التي سارت في الركاب، عن مظاهر براقة، وعندما تتصدر في وضع مغر وملفت للنظر، وبألوان زاهية صورها الفاضحة صفحاتها البارزة، ليلفتوا النظر إليها، وليغروا الفتيات بالإطراء، والتحدث عن سر الجمال الذي اكتسبته، وما تلبس من زينة، وتفضل من عادات، وطريقتها في المحافظة على هذا الجمال، بعد وصفها بنعوت كثيرة: من الإغراء، والفتنة، والحيوية .

والمرأة دائماً يعجبها الثناء، ويطربها المديح، لأن ذلك غريزة في نفسها، وإحساس عميق في وجدانها «والغواني يغرهن الثناء» كما قال شوقي هذه الممثلة التي تخاطفتها الأيدي، وسال المال بين يديها: إنها مارلين مونرو ملكة الإغراء كما يسمونها في تلك الصحف.

لكن قبل أن تبهرنا تلك الأقاويل، وقبل أن تتأثر النساء المسلمات بما تنشره تلك الدعايات الإعلامية عنها، وما تهتم به الصحف التي تهتم بأخبارها، وما تروجه عنها وعن غيرها من أقوال وصور.

يحسن بنا أن نعرف قبل ذلك الإجابة على التساؤلات

التالية:

- ما هدف الصحف .. ولماذا تهتم بها وبغيرها ذلك الاهتمام الزائد؟؟

- ماذا كانت حياة هذه المرأة .. وما آلت إليه كنموذج لغيرها كما ذكرنا؟

فعن السؤال الأول: كما عرفته من عدة المصادر: إن هدف الصحف الربح المالي فقط. فأصحاب هذه الصحف يساومون أمثال هذه الفنانة على ما تدفع بحسب الإهتمام بها كدعاية لها ولأفلامها، وهي بدورها تأخذ من شركات الأفلام والدعاية، نظير أن تبيع صورها المثيرة، والمغرية التي تسلب عقول الرجال، وتستدر جيوبهم، أما شركات أدوات التجميل والأزياء فتدفع عن دعايتها لمنتوجاتها.

وهكذا يتضح أن الناحية مصلحية في الدرجة الأولى. ويأتي خلف ذلك المخططون لتدمير المجتمع الإسلامي، بالبذل، ووضع المغريات، لأنهم فسدوا فيحسدون المسلمين على الراحة النفسية والإستقرار الوجداني، فيبذلون جهدهم لإفسادهم، مثل المدخن مع علمه بضرره يحاول إغراء غيره ليقع معه في هذا العمل.

وهذه محاولة منهم للدخول على المرأة المسلمة من نقطة الضعف في نفسها.

أما الجواب عن السؤال الثاني: فإن حياتها لاتعدو أن تكون هي ومثيلاتها في ذلك المجتمع الذي لايحترم إلا المصلحة، ولايفكر بغير النتائج التي تعود إليه، أن تكون بمثابة قطيع الغنم التي يرعاها الجزار، ويطعمها من أجود الأعلاف، ويهتم بها صباح مساء، فلما سمنت، وطاب لحمها، ذبحها ليتمتع هو بزيادة الثمن الذي يملأ جيبه، وغيره بلحمها.

فهذا هو واقع الحال لهذه الممثلة، وغيرها كثير، وسيكون أيضاً هذا مآل من يسير في هذا الدرب في الدنيا، وما أخفاه الله من عقاب في الآخرة أعظم وأنكى.

وما أكثر ما نسمع ونقرأ في حياة هذه الفئة من النساء، اللواتي لفظهن المجتمع وأخلاقه، بما يقض فيه من المآسي والآثام.

وهذا آخر خبر نقرؤه مع أن في كل يوم عن حياة هذا النوع خبر جديد ومحزن، فقد نشرت جريدة الشرق الأوسط الواسعة الإنتشار في يوم ١٤٠٥/٥/٢٠ وعلى صفحتها الأخيرة تحت هذا العنوان: اليزابيث تايلور تكشف سراً: أتعاطى الحبوب

المهدئة منذ ٣٥ سنة، ونصه ما يلي: اليزابيث تايلور الممثلة المعرفة ظلت تدمن الحبوب المنومة طوال ٣٥ عاماً إلى أن دخلت أحد مصحات إعادة التأهيل أي العلاج من الإدمان، هذا ما كشفت عنه الممثلة العالمية في مقابلة نشرتها أمس صحيفة نيويورك تايمز، موضحة أنها فسخت خطبتها مع من كان مقرراً له أن يصبح زوجها رقم ٨ في حياتها، وقالت إليزابيث: إنها ظلت تتعاطى الأقراص المنومة بواقع حبتين في المرة الواحدة على مدى ٣٥ عاماً وأنها كانت تخلط الأقراص المسكنة بالخمر إلي أن أقنعها الأصدقاء والأهل بدخول مصحة: بيتي فورد لإعادة التأهيل وذلك في محاولة لإنقاذ حياتها.

المعلوم أن هذه المصحة هي نفسها المصحة التي سبق أن دخلها المطرب جوني كاش، والممثلة ليزا مينيللي، والممثلة ماري تايلر مور، والمصحة مخصصه للعلاج من إدمان المخدرات.

إذا كان هذا هو واقع أهل الفن رجالاً ونساءً.

فإن الممثلة مارلين مونروا التي أحاطتها صحافتهم، وصحافة العالم الإسلامي السائرة في الركاب بهالة عظيمة. كما قدموا لها المغريات حتى استطاعوا أن يتحكموا في

نفسها بأن تعرض جسمها بأوضاع مختلفة، فصوروها باسم التحرر، ونشروها باسم الإغراء، ثم دفعوها لأن تمثل في بعض أفلامها عارية تماماً كما ولدتها أمها، وساقوا غيرها لهذا الطريق أيضاً، كما خضع لها شخصيات كثيرة طمعاً في لذة، وامتهاناً لكرامة المرأة، ودخولاً تحت حبائل الشيطان، الذي يرمي بشباكه وطعمه المغريات من النساء، وحتى تنخدع المرأة وهي الضعيفة في مقاومتها، فقد مجدوا أمامها هذا العمل باسم تحرير المرأة، والتخلص من عبودية الحجاب والحشمة اللتين فرضهما الإسلام، وأزالوا الحياء الذي هو جمال المرأة وزينتها، وصدق الرسول ﷺ عندما قال: «حفّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

فقد باع أولئك النفر الذي ذهبوا إلى بارئهم، وسيسألون عما قاموا به من أعمال، وما سعوا فيه من جهود، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، عما عملوا في سمعة بلادهم، وأسرارها في مثل تلك الجلسات الآثمة، والأفكار المبثوثة: قال تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾[١] .

---

(١) سورة الكهف آية ٤٩

إن مثل هذا العمل الذي أرادوه للمرأة المسلمة في عصر النهضة الحديثة، هو نفسه الأسلوب الذي انتشر في أوروبا بعد الثورة الفرنسية، وهي ذاتها الصورة التي عملها الرومان والإغريق في إذلالهم للمرأة وامتهان كرامتها، وإن تعددت الصوره وتغير الأسلوب، فما أشبة الليلة بالبارحة.

فماذا كانت نتيجة هذه الممثلة - ومثيلاتها - بعد أن أخذوا منها بغيتهم وأدركوا عن طريقها مآربهم، وكسبوا من ورائها المال الكثير.

لقد لفظوها كما تلفظ النواة بعد ذهاب طعمها، ورموها في سلة النفايات كما ترمي الزهرة إذا ذبلت، حيث شعرت بانحسار ظلها، ونضوب مصادر رزقها، وذبول أغصانها وانفضاض الناس من حولها، بعد أن استهلكوها واستنفدوا غرضهم منها.

لقد أدركت الدور الذي أزيد بها، وما دبرته الأيدي الخفية، بعد أن شعرت بالذلة والمهانة، وبعد أن فقدت كل شيء تعتز به، وبعد أن تخلى عنها الذين سلبوا شبابها ومكانتها.

فأظلمت الدنيا في عينيها، ولم تر لها خلاصاً مما هي فيه إلا الانتحار، فقتلت نفسها بيديها، ولم يتحرك لهذا العمل أحد فخسرت الدنيا والآخرة.

وأسدل الستار على حياة امرأة نموذجها كثير في المجتمعات الغربية، حيث لادين يحمي، ولامجتمع يرعى ولاعقيدة تردع.

فلو كان لديها عقيدة دينية لما انتحرت، ولو كان لديها وازع إيماني لما أقدمت، إذ كأنها بخلاصها من الحياة، لاتعبر عن مشكلة خاصة بها، ولكنها تعبر عن مشكلة عويصة انحدر لها المجتمع الغربي بأسره: ذل وعبودية،و ظلم وابتزاز لهذا المخلوق الضعيف، لأنهم لم يرعوا فيه الأمانة، ولم يوجههوه التوجيه السليم.

وهذا النموذج الذي تخبطت فيه المرأة هناك، بدأ ينساق ويتبناه في المجتمع الإسلامي أفراد أعمى الله بصائرهم، وغلب الطمع على نفوسهم.

وعندما أسوق مثل هذه الحكاية، فإنما هي للعبرة والتذكير، ولأضع برهاناً أمام المرأة المسلمة، وتذكرة أمام الحريصين على صيانتها والمحافظة عليها عن الانحدار إلى ذلك الدرك بعد أن حماها دينها الإسلامي بتعاليمه، ورسمت لها مبادئه ومثله الطريق الأرشد، وأبانت لها شرائعه ما يجب أن تتحلى به في نفسها ومجتمعها، وأوضحت ما يحسن أن تسير عليه في حياتها وبعقيدتها السليمة.

والمرأة المسلمة متى وعت مكانتها، وآمنت برسالتها في الحياة وأدركت وضعها الطبيعي الذي أراده الله لها، ثم طبقت تعاليم دينها، مسترشدة بمصدري التشريع الإسلامي: القرآن الكريم، والسنة المطهرة واقتنعت بذلك، وسارت عليه عملاً مقتفيه آثار بنات جنسها في تاريخ الإسلام المجيد، وسيرهن العطرة.

متى وعت هذا كله، فسيكون لديها من الحصانة ما تستطيع به ردّ كل ما يراد بها، وإدراك مخاطر العادات التي لفظها المجتمع الغربي، لأنها لاتتلائم مع طبيعة المرأة المسلمة وخلقها، ولأن في حياتهم وقصصهم عبرة.

ذلك أن ما يسمونه تحرراً وتقدماً، فما هو إلا نماذج واضحة المعالم لرقّ المرأة، وعبوديتها، ومظهر بارز لاستغلال ضعفها، واستخدامها لأغراض شتى : كمخلب قط، أو طعم مصيدة، بوضع يأباه العقل، وينفر منه الذوق السليم.

والإسلام بمثله وأخلاقه، وتعاليمه ومبادئه، قد بوأ المرأة مكانة رفيعة تتوق لمثلها بنات جنسها في كل مكان، فهي ملكة في بيتها، أمينة في ممتلكات زوجها، يكسب رضاها والتقرب من ودّها كل من حولها: فالأبناء بالحقوق المشروعة،

والزوج بحسن العشرة وأداء الأمانة، والأب محسن الرعاية والتوجيه.

ويهتم بها أقرباؤها فهي مكفولة الرزق، مكفية المؤونة عزيزة الجانب، محترمة في مجتمعها مرفوعة القدر عالية المنزلة.

أعطاها القرآن الكريم، والرسول ﷺ الشيء الكثير من الأهمية في المكانة والأوامر، والحقوق والواجبات.

مما جعل مفكرو الغرب، وقادة الرأي فيهم يقررون بأنه لم يكن للمرأة منزلة تذكر قبل الإسلام، في أي عصر من العصور، ومن هؤلاء ديورانت الذي أشاد مبرراً في مقارنات بين واقع المرأة عند المسلمين وغيرهم كالرومان والإغريق، وبين حالتها عند العرب قبل الإسلام وبعده،

وذلك في كتابه الموسوعي: قصة الحضارة ومثله توينبي المؤرخ الإنجليزي في تاريخه، بل في مطلع عام ١٩٨٥م انبرت صحفية أمريكية لمهاجمة التوراة واتهمتها بنكران حق المرأة حيث لم يأت لها ذكر فيها، بينما الإسلام أعطاها مكانة رفيعة فخاطبها إلى جانب الرجل سواءاً بسواء، وأعطاها حقوقاً لاتوجد في التوراة عند اليهود، ولا في الأناجيل عند

النصارى، وقست عليهم في هجومها، وقساوتها هذه فيها شهادة لمكانة المرأة في الإسلام.

فاجتمع لهذا الرأي ومناقشته أحد مجالس الكهنوت عند النصارى، وقرروا إخراج طبعة جديدة من التوراة يفحم فيها اسم المرأة إفحاماً، إرضاء لبنات حواء اللواتي حفظهن ما قالت به هذه الكاتبة.

وما أكثر شهادات الحق من الأعداء، وفي هذا عظة وعبرة حتى نقف عن تقليدهم، وعدم السعي في اقتفاء آثارهم وضرورة أخذ الأمور بميزان العقل والتروي، لأن لنا معاشر المسلمين منطلق يجدر بنا التمسك به، وديننا يرسم لنا هدفاً في الحياة ونتائج ترتجى بعد الممات، فلا تخرج عن ذلك.

وهذا منطق يحتاج إلى التعقل وإعمال الفكر، وموازنة الأمور ومراقبة ما دار في تلك المجتمعات وضجر المفكرون منهم بذلك من الجنسين، ثم ماذا يجب على المسلمين أن يعملوه في مجتمعهم وفقاً لما رسمه لهم شرعهم المطهر، وما في ذلك من فوائد ظاهرة نفسية واجتماعية.

«مدرسة قاسم أمين في الحجاب»

في غياب من الحماسة الدينية، وفي غفلة من صحوة العلم العقائدي، يغتنم أصحاب النزعات المختلفة، والمآرب المتوارية، أو أرباب الجهل وقصر النظر.

هؤلاء الذين يحركهم أعداء الإسلام، ويثير حماستهم الحاقدون على شرع الله الذي شرع لعباده، ويريدون استبدال ذلك بما يحقق رغبات شخصية، أو يسير وفق منهج مادي موضوع، من باب استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير كما قال سبحانه حكاية عن بني إسرائيل: ﴿ قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾[١] .

يغتنم أمثال هؤلاء الفرصة، ويتحينون بارقة من تعاطف، عندما تبهر المدينة البراقة عقولهم، وتستولى مظاهرها أو المصالح الذاتية على ألباب المستضعفين من الشرقيين - إسلاميين أو غير إسلاميين - فتسلبهم تفكيرهم، وتطغى على تدبيرهم، وتنسيهم ما سار عليه الشرق في منهجه الإسلامي، فيدورون في فلك هذه المظاهر بدون وعي أو إدراك، أو تحركهم

---

(١) من الآية ٦١ سورة البقرة.

الأيدي الخفية التي قد تكون استغلتهم بدون إحساس أو تقدير.

وقد يسيرون في فلك لايدرون بعده، ولاعمق دلالته، فبذلك يخدمون بأعمالهم وجهودهم من حيث لايعلمون مخططات العلمانية الماكرة وأفكار الماسونية الحاقدة المتربصة دائماً بعقيدة الإسلام تشكيكاً وتلبيساً.

فنرى بعضاً من هؤلاء يخدمون بأعمالهم المحركة، ونشاطهم المستمر في الفكر والكتابة، مارسمه قادة الحملة ضد الإسلام أيا كان موقعهم، في محاولة لهدم صرحه، وتفتيت مجتمعه بأعمالهم وجهودهم، ونشاطهم وحماستهم.

سواءاً كان هذا الدافع حب الثناء والإطراء، أو البروز والشهرة، أو الإيمان بفكرة وافدة، تتباين مع الإسلام وتعاليمه.

فإن كانوا قالوا ما قالوا مدافعة عن حسن نية أو كان ما تحمسوا له نقلاً عن غير طوية، وإنما جاء ذلك تقليداً ومجاراة، من حيث نظروا إلى لمعان المدينة بعد أن استهواهم بريق الصناعة والمخترعات، ورأوا بني قومهم قد تخلفوا في ذلك فأخذت هذه المناظر البراقة تستهويهم، لينساقوا خلفها وزادت جهودهم لتبين ما يهدف إليه قادة الفكر في هذه المدينة، وهم غالباً من العلمانيين.

فصار هذا البعض في ديار الإسلام مطية سهلة لتنفيذ ما يريد من خلفهم، حيث سخروهم لنشر ما يدبرون لديار الإسلام وما يكيدون لأبناء الأمة الإسلامية، بطرق شتى في العمل والعقيدة، والفكر والثقافة.

وهذا البعض في ديار الإسلام لاتظهر آثارهم السيئة إلا عندما تمتليء نفوسهم تأثراً وإعجاباً بأولئك، وما قيل عنهم من دعايات، حيث صار فكرهم أو قولهم مستساغاً دون تمحيص أو تدقيق، رغم ما فيه من زعزعة لتعاليم الإسلام في النفوس، لأن هذا هو المطلب الأساسي من ذلك الفكر الموجه للمسلمين.

يدس ذلك الفكر شبهاً نحو تعاليم الإسلام، وعدم قدرتها في ملائمة حاجة العصر الذي يعاش فيه، وأن الإنسان الحديث ما عليه إلا نبذها حتى يستطيع ملائمة متطلبات عصره، والسير في ركاب التقدم الذي يُتسم به.

فيشكك الفرد في جدوى فائدة تلك الأمور التي جاء بها الإسلام، ومنها حجاب المرأة في القرن العشرين، الذي يرمز له بعصر التقدم والعلم والحرية والإنطلاق، حيث وصفت أمامه تعاليم الإسلام وقيمة وشرائعه إن لم تكن كلها فأغلبها بالجمود والتخلف، وألصق بها عدم ملائمة العصر قصداً أو استهزاء.

وقد نشأ مثل هذا الفكر من قبل في المجتمع الأوربي في عصره الحديث، لأنهم وجدوا تعاليم الكنيسة تتباين مع متطلبات المجتمع وتقف عقول كهنة الكنيسة جامدة، دون متطلبات عقول أرباب الفكر وأهل العلم.

ومن هنا حصلت الفجوة بين العلم والدين لعدم الإستعداد للتقارب، بعكس واقع حال الإسلام، فإن رجال العلم فيه في عصور ازدهاره هم العلماء ورجال الدين في آن واحد.

وقد تساءل أحد كبار الكتاب في فرنسا لماذا حارب رجال الكنيسة فولتير؟؟ بعد أن كتب عن حياته، فأجاب قائلاً:

ألأنه قال: إن الله موجود في كل شيء؟ أم لأنه قال: بأنني أحارب تلك الرؤوس الخربة، ويعني رجال الكنيسة؟؟

أما في المجتمع الإسلامي، فلن يأتي من يقول مثل هذه المقالة على رجال الدين، إلا إذا كان متمرداً على الدين نفسه.

ولذا قاد أناس في المجتمعات الإسلامية زمام فكرة التشكيك ومحاربة الإسلام من داخله، وهذا أشد بلاء على الإسلام في نقض عراه عروة عروة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ بأنهم رجال من جلدتنا ويتكلمون لغتنا، أمثال هؤلاء

تفانوا في نشر تلك السموم بهمة ونشاط وهي التي بدئت أصلاً للخروج على الكنيسة فنجحت.

لكنهم وبكل أسف لم يأخذوا عن المجتمع الغربي، ولا عن التقاليد السائدة في تلك المجتمعات: الهمة والنشاط فيما يفيد، أو الجدية في العمل والصناعة، والإهتمام بالعلم، ولا ملاحقة كل مظهر حضاري يرفع من مستوى المجتمع، ويزيد الرخاء فيه. بل اهتموا بأخذ كل ما ينبذ في تلك المجتمعات من المساوئ، وتبنوا نشر أسفل القبائح التي تضر بالمجتمع، وتثير مشكلاته.

أخذوا قشور حضارتهم التي حاولوا التخلص منها، وتركوهم يتمتعون باللب، ولنأخذ لذلك نموذجاً تبرز فيه هذه الصورة:

فلقد تبنى الغربيون في مجتمعهم، ثم ندموا: فكرة انطلاق المرأة وخروجها عن وضعها الطبيعي في الأسرة والمجتمع.

حيث تأثرت بالمرأة المسلمة إبان إزدهار الحكم الإسلامي.

أخرجوها ليجعلوها بضاعة رخيصة، ولقمة سائغة لكل طالب، فشعروا أنهم لم يحرروا المرأة بهذا السلوك وإنما أهانوها وامتهنوا كرامتها، فأرادوا الخلاص من هذا الأمر بعد أن

استشرى عندهم، ولكن لم يستطيعوا الإنفلات من الخناق الذي طوق أعناقهم والمشكلة التي حلت بهم.

فمن حيث وقعوا عاود المجتمع الإسلامي الكرة، إنسياقاً وتقليداً، وهانحن نرى الفكرة تبدأ جزعة في ديار المسلمين، كما هو الواقع في ديار الغرب منذ فترة، حيث شعر الحاقدون منهم على الإسلام وأهله بالآثار المعكوسة عندهم، فعزّ عليهم أن تهدأ الأسرة الإسلامية، ويرتاح مجتمع أبنائه، ما دام نصف هذا المجتمع مؤتمراً بتعاليم الإسلام، وملتزماً بالحجاب الذي يحمي المرأة من الإنزلاق، ويسبغ عليها الوقار والحشمة، فلا تتأذى من الفضوليين وساقطي الهمم ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾[١] .

المرأة التي أكرمها الله بالحجاب عندما فرض في المدينة المنورة في سورتي النور والأحزاب، وحرصت عليه نساء المهاجرين والأنصار بالإستجابة والعمل، فأعطاها مهابة وفرض لها احتراماً، يأتي في كل وقت من أوقات ضعف المسلمين وقصورهم عن فهم تعاليم الإسلام، من يساهم في نقض عرى

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٩.

الإسلام بالتشكيك في تعاليمه ومن بينها الحجاب للمرأة المسلمة، والتحمس لطرح فكرة عدم الإهتمام به، وأن الإسلام لم يأمر به.

يأتي من يخدم هذه الفكرة، ويتحمس لهذا الإحساس وهم كثيرون في كل مكان وزمان ويبرز منهم أناس في كل منطقة، وقد قاد راية هذه الدعوة في مصر قاسم أمين الكردي الأصل والمتوفى عام ١٣٢٦هـ، ذلك الرجل الذي تحمس في بداية القرن الهجري المنصرم لتحرير المرأة، وإبعادها من تعاليم الإسلام نحو الحجاب والتستر والإحتشام، فيؤلف كتابين هما: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، فأحدث بهما دوياً كبيراً بعدما صدرا، فهو يطالب المرأة بنزع البرقع وتمزيقه، حيث قال ضمن كلام كثير له في كتابه: الحجاب: إن الحجاب مما يزيد الفتنه عند النساء، وإن المرأة لو كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع خلقها على الغالب ما يرد البصر عنها}[١] .

---

(١) في مقالته هذه رد على من يقول بأن حجاب المرأة لم يكن معروفاً إلا في السعودية وبعض أنحاء اليمن وأفغانستان، ذلك أن الحجاب وتغطية الوجه جزء من كتاب المرأة المسلمة في كل مكان ولكن دعاة السوء في كل وقت هم خلف نزعه.

ويستمر في تبريراته وإغراءاته وتلبيسه علي الناس في مثل قوله: بأن الفضيلة لاتكون بالحجاب، وإنما هو شيئ في النفوس.

وهكذا يوالي مغالطاته الكثيرة، في كتابيه ومقالاته، ويقحم حججه الواهية في زوايا ما يكتب في موضوع أخذ على عاتقه تبنيه.

وقد أحدثت آراء قاسم أمين ضجة كبيرة في مصر وفي العالم الإسلامي، وصار بينه وبين الإمام محمد عبدة مداولات.

ويناصر قاسم أمين في هذه الدعوة أناس آخرون ليس في مصر وحدها، ولكنهم في كل مكان، يوقد جذوة نارها كلما أرادت أن تخبو أياد خفية، ويحركها الإستعمال الفكري الجاثم على ديار الإسلام، وصدور بعض أبنائه في أنحاء المعمورة، عملياً وبالمتابعة والجهد.

فيجد هؤلاء ويجتهدون لتحقيق هذا المأرب، ومناصرة القائلين به، فبعد أربعة أخماس القرن من موت قاسم أمين يأتي حسين أمين ليمتطي تلك الراحلة لأنها السبيل الوحيد للشهرة لمن عزت عليه، ويكون طالباً نجيباً من طلاب تلك المدرسة، فيأتي بآراء عجيبة في فهم القرآن الكريم، والإستدلال بآراء

غير مستقرة لبعض الفقهاء، فتتبناه صحف عرفت بمسارها منذ أن نشأت، وقد نشر له مقالة في روز اليوسف العدد ٢٩٧٥ الصادر يوم ١٧ يونيه سنة ١٩٨٥م وقبلها في أكتوبر وفي مجلة المصور، ولغيره في نفس العام بمجلة أسرتي الكويتية.

ومما جاء في روز اليوسف قوله: وقد درست الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الحجاب، ووجدت أنه ليس هناك آية واحدة تفرض الحجاب على المسلمات، كما درست جميع الآيات التي تعرضت لزي المرأة ولم أخرج منها بشيء.

ثم يقول قولاً غريباً: بأنه ليس للحجاب أية علاقة بالإسلام، بل لقد عرف الفرس الحجاب قبل الإسلام بألف عام.

ولاتستبعد ياأخي القارئ مثل هذه الآراء عن أناس يدعون أنهم قرأوا القرآن وهم لم يفهموه، وإلا فالنص واضح والتعبير اللغوي الذي يشرح المدلول الشرعي باللغة العربية وليس باللغة الفارسية أو بتأثير فارسي كما يدعي.

والمنفلوطي رحمه الله في كتابه النظرات ممن تصدى لآراء أمثال قاسم أمين.

فماذا حصل بعد تلك الحملات التي درست وخطط لها،

وحركتها دعوات مدعومة:

لقد انقسم الناس في ذلك إلى قسمين: قسم سار في منهج الإسلام وحافظوا، وأرادوا مقارعة الحجة بالحجة، وصبروا في أنفسهم وصابروا، وقد وصفوا بصفات التخلف والرجعية وغير ذلك من النعوت ولكنهم تحملوا فترة من الزمن وإن كان عددهم بدأ في التناقص فترة من الزمن، ومع تزايد الرغبة في معرفة الإسلام والعودة لتعاليمه، فيما يسمى الصحوة الإسلامية الجديدة بدأ المؤشر يرتفع، والرغبة تتأصل لأن البقاء للأصلح، رغم أن أعداء الإسلام خلف أصحاب هذا المنحى بكل ما يستطيعون ليثنوهم عن التمسك بتعاليم دينهم، فقد أحدثت في هذا العام ١٩٨٥م فتاة تركية أصرت بأن تعمل في الجامعة بحجابها مما دفع الحكومة ومجلس الجامعه إلى فصلها عن العمل إن لم تترك الحجاب، وقد ذكرت الصحف الغربية في شهر محرم سنة ١٤٠٦هـ قصتها وإصرارها على الدفاع عن وجهة نظرها في المحاكم، وأنها إنما انطلقت من تعاليم الإسلام في الحجاب وهي مسلمة، ودينها يأمرها بالتطبيق.

ولهذه الفتاة نظائر في ديار الإسلام المختلفة.

وقسم أزال البرقع كما أراد قاسم أمين، ومن يساير قاسم أمين في هذا الإتجاه الذي يحركه أعداء الإسلام.

وطرحت المرأة في كثير من ديار الإسلام شعار الوقار والحشمة، الذي يحمى المرأة المسلمة ويمثل الستر والعفاف، فأصبحت المرأة متكشفة تبحث عن إظهار مفاتنها وزينتها، فاحتضنتها دور الأزياء ومحلات التجميل، وتجردت عن لباسها الساتر لجسمها فأبرزت المفاتن وتجردت من الحياء، إلا من عصم الله.

فكان هذا منفذاً لجعلها لقمة سائغة تنتهشها الذئاب، وينال منها أصحاب المآرب، ذلك أن الذين حرصوا وخططوا لرفع الحجاب، هم الذين استفادوا في الدرجة الأولى لملء جيوبهم بالمال، فهم أصحاب دور الأزياء، وهم صناع الموضات النسائية، وهم أصحاب المجلات العارية التي تتسابق على عرض المرأة في صور متعددة ومغرية وهم أصحاب دور السينما والتصوير، وهم أصحاب مصانع التجميل والمساحيق المتعددة، وهم أخيراً أصحاب الملاهي ومروجي أشرطة الغناء، وإذا تتبعنا في ديار الغرب من خلف هذا لوجدنا أن لليهود اليد الطولى.

فهل بعد هذا حمت المرأة نفسها كما قدر قاسم أمين، عندما أصر هو ومن يشاكله في هذا الإتجاه على نزعها للحجاب، وأيده في هذا سعد زغلول في استقبال جرى له بعد عودته من بلاد الغرب، عندما مرّ على المكان المخصص للنساء، وفي مقدمتهن هدى الشعراوي التي وقفت معهن وهن متحجبات كمخلب قط، ثم نزع الحجاب عن وجوههن مبتدئاً بهدى شعراوي، وهما يتبادلان الإبتسامات في مسرحية مدبرة، ثم بعدها يقول للجميع: لقد آن للمرأة المصرية أن تنزع عنها شعار التخلف.

فهل تقدمت المرأة، وارتفعت بمجتمعها بعد هذا؟؟

وهل حققت المرأة المسلمة بهذا التقليد نتائج ملموسة في استقرار الأسرة؟! وتنشئة الأجيال الصالحة؟ وقلة المشكلات الأسرية والإجتماعية؟؟

أسئلة أترك الإجابة عليها للمرأة المسلمة نفسها، فهي التي وازنت وقارنت، وهي التي تلمس آثار ذلك إيجاباً وسلباً، وهي التي أحست وتحسّ نتائج ما جنت المرأة من هذا الأسلوب.

ذلك أن الوعود وتزيين الحجج انتهت، وحل مكانها أمر واقع، وتجربة حقيقية، بعد أن عاشت فترة من التجربة مريرة في

بعض البلاد.

وهذا الأمر الواقع، يبين بالمقارنة، وتلك التجربة تتجسم بالمداولة، والمقارنة والمداولة تظهران في معادلة الشيء بضده، لأن الأشياء تتميز بأضدادها.

والمقارنة لا تتم إلا بين حالة واقعة سعى لتحقيقها وترغيبها قاسم أمين، ومن على شاكلته وما وضعوا لذلك من مغريات في تحقيق الهدف.

وبين ما حصد المجتمع من نتيجة لتلك البذور، وما يسير في تعاليم الإسلام من أوامر تحمي المجتمع وتصون المرأة.

ولئن جاءت النتائج كما أرادها المدبرون والمخططون من وراء الحدود، وكما رسمها الحريصون على العبث بالمجتمع الإسلامي، الدائبون على تفكيك الأسرة فيه، لإدراكهم دور المرأة الصالحة والمحافظة على أبنائها، لأن المرأة خير مصنع للرجال، فإن السبب الذي أعان على تحقيق المآرب هو البعد عن الإسلام من أبناء الإسلام، واتباعهم شهوات أنفسهم حتى كثرت الذنوب والمعاصي، فران على القلوب غشاء يباعدها عن التبصر في الأمر والوقوف ضد اعداء الإسلام ومن يعاونهم من ضعاف الإيمان، وإلا فإن الله أراد للمرأة المسلمة نموذجاً تمتاز

به، وحالة تتعايش مع وضعها وطبيعتها في الحياة، حيث ترسم لها شعائر الإسلام منهجاً تسلكه، وطريقاً مميزاً تسير فيه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (سورة الروم آية ٣٠).

ذلك أن الأمر الإلهي الذي خوطب به النبي ﷺ للأخذ بيد المرأة وتوجيهها يرسم لها طريقاً واضحاً. ينير لها دياجي الظلم وقت الأزمات، ويمهد لها ما خشن من وهاد ليسهل الإجتياز، ويزودها بحصيلة تمدها بالطاقة الدافعة عند توالي المحن، واشتداد الأزمات، وهذا جاء في آيات كثيرات من القرآن الكريم، منها هذه الآية التي يقول الله جلت قدرته فيها: ﴿يأأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (سورة الأحزاب آية ٥٩).

فالمرأة المسلمة في كل مكان هي التي تعرف أختها الملتزمة بدينها، والمتمسكة بعقيدة ربها، تعرفها بالحشمة والوقار، وتعرفها بالتستر والهدوء، وتعرفها باللباس والمظهر ذلك أن التمسك بتعاليم الدين، وتطبيق مقتضى أوامره، واجتناب نواهيه، عنوان الحرص على الإتباع، ونموذج للإقتداء بمن فهم

مدلول النص وطبّق.

وقد يسأل شخص ما عن تمسك بعض النساء في الهند وشرق آسيا بالحجاب وهن غير مسلمات والجواب هو أنهن حسبما بحث تاريخياً أعجبن بالنساء المسلمات في محافظتهن وسترهن، فأحببن تقليدهن في هذه العادة الحسنة.

ومن يدرس حالة كثير من الشعوب التي اختلط بهم المسلمون يلمس أخذهم أشياء كثيرة في عاداتهم وشئون منازلهم وأحوال مجتمعهم وتعاملهم من المسلمين، بعد أن أعجبوا بها، لأن المسلمين كانوا لهم نموذجاً حسناً.

ومن مضمون الآية الكريمة التي مرت بنا، نلمس أن المرأة المسلمة التي عناها الخطاب لايمكن أن تكون كاسية عارية، كما هو حال المرأة الغربية التي أريد للمرأة المسلمة تقليدها، لمخالفة هذا النص الذي يدفعها للإلتزام والإمتثال، فهي تحذر من فحوى قول النبي ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا، ورجال معهم عصى كأذناب البقر يضربون بها الناس» {رواه مسلم، انظر جامع الأصول ٥: ٧١٠}.

والمرأة المسلمة لاتكون رائدة علب الليل {الملاهي} ولا ممثلة في السينما ولا متسكعة في الأسواق، لأن هذه الأعمال من تبرج الجاهلية الأولى التي حذر منها الإسلام، إن لم تزد عليها، كما قال تعالي: ﴿ يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولاً معروفاً، وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ {سورة الأحزاب آية ٣٢ - ٣٣} فهل يريد قاسم أمين، وأتباع دعوة قاسم أمين، بدعوته لنزع الحجاب، وفلسفة ما دون بكتابيه حول العفة والطهارة، أن تكون المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، ذات أصالة في نزعها الحجاب، أو تكون متحررة في ابتعادها عن منهج الإسلام، وما يدعو إليه من الحشمة والوقار.

إن الإحساس القوي لدى المرأة المسلمة اليوم، ورفضها لما تبناه قاسم أمين، ومن يشاكله في المنهج والهدف، وعودتها - بحمد الله - في بعض الأقطار الإسلامية إلى أوامر ربها، ثم تطبيق ذلك عملاً، ما هو إلا تحدّ سافر لهذه الدعوة التي ظهر أصحابها في هذا العصر بأنها أصبحت أمراً مسلماً به، فالمرأة

المسلمة تتحداهم عندما تفرض حجابها في مدرج الجامعه، وتتحداهم بالإصرار عليه في معامل كلية الطب، وتستثير غضبهم عندما تأبي المسلمات تشريح جثث الموتى باعتبار أنه لايحق للمرأة المسلمة النظر إلى جسم الرجل وتحرك الكوامن في نفوسهم عندما يزدهر سوق الملابس الساترة والطويلة، وعندما تتبارى المحلات التجارية في عرض حجاب المرأة، وغطاء رأسها الساتر لوجهها في واجهات هذه المحلات، لأنها البضاعة النافقة، وتثير غضبهم عندما تصر على حضور العمل بلباس محتشم وستر كامل. إحساس عميق يحركه رغبة المرأة في المجتمع الإسلامي في العودة للإلتزام والحشمة، لأنها ملت الوعود الكاذبة البراقة، وسئمت الجري خلف السراب، بعد أن تحركت فيها العقيدة الصحيحة لتعي من ورائها تعاليم دينها، وتنفذ أوامر نبيها وشرائع ربها: ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ {سورة الرعد آية ١٧}.

ولم يكن هذا الإحساس المتجدد من المرأة المسلمة هو الصدمة الأولى لضياع جهد خصوم الإسلام وتعاليم شرعه.

فقاسم أمين مثلاً رغم دعوته لتحرير المرأة الذي يعني في نظره التخلص من الحجاب في الدرجة الأولى، كانت صدمته

الأولى من داخل بيته فزوجته كانت محافظة على دينها ومصرة علي الحجاب، ولم تتخل عنه.

كما صدم ثانية من أحد مشايخ الأزهر الذي كان يقف من دعوته موقف الإنكار، ويعارضه في مطالباته المسماة بتحرير المرأة، فتعمد أن يقصد بيت قاسم أمين بعد تأكده من وجوده فيه، فقرع عليه الباب وعندما خرج إليه قاسم أمين قال له: لست أريدك أنت، وإنما جئت طالباً السيدة صاحبة البيت لأجلس معها، وأتحدث إليها. فاستنكر ذلك قاسم أمين منه ونهره بهذا المطلب، لأن قاسم يدرك من زوجته المحافظة والتدين.

فقال له الرجل: على مهلك، ألست تنادي بحرية المرأة في كل أمر وفي علاقاتها. قال: هذا صحيح، ولكن هذا لايجوز في بيتي لأن زوجتي محافظة ونحن نأنف من هذا خاصة وأنني لا أريد مخالفتها فيما اقتنعت به.

فرد عليه الشيخ قالاً: سبحان الله كيف تريد للناس مالا تريده لنفسك، كيف تريد إخراب نفوس الناس وزعزعة بيوتهم، وأنت تأباه لنفسك، ولاتريد إجبار زوجتك عليه.

فخجل قاسم أمين من هذا الكلام، فقال له الشيخ:

أليس في هذا رد عليك بنفسك ياقاسم بطريقة عملية فيما تدعو إليه.

ومع هذا فإن هاتين الصدمتين لم تردعاه عما كان ينادي به، ولم تردع أتباعه الذين يظهرون على الساحة بين وقت وآخر، ولأن الأيدي الخفية التي تحركهم هي التي تنشط بين وقت وآخر في محاولة للإضرار بالإسلام، ومباعدة أهله منه.

طواعية المرأة للأوامر

يقول علماء النفس إن المرأة أكثر طواعية للأوامر، وأرق قلباً من الرجل.

ومن هنا نجد أن الإحصائيات في عالم الجريمة تنبئ عن أن:

- المرأة أقل عنفاً من الرجل.
- المرأة أقل من الرجل في جرائم مخالفة القوانين.
- المرأة أكثر من الرجل ندماً بعد المخالفات القانونية.
- المرأة أكثر من الرجل استجابة للأنظمة، وأقل منه تحايلاً عليها.
- أكثر جرائم المرأة جاءت بتخطيط أو معاونة من الرجال.

ومن هنا قام الرجل في العالم الغربي، وفي المجتمعات التي لاتتقيد بالإسلام منهج سلوك، باستغلال المرأة، وإثارة عواطفها وغرائزها، وعدم رحمة ضعفها، واستغلالها لتحقيق مآربه بحيث يجعلها ستاراً في أهدافه، وبرز ذلك في أمور ملموسة مثل:

- الجاسوسية واستخلاص المعلومات السرية.

- النفاد لقلوب الرجال وإثارة غرائزهم.

- جعلها واجهة يتلهى بها الرجال: في الصحف وفي السينمات، وفي المحلات التجارية، وفي الشركات وفي البنوك والمطاعم والملاهي وغيرها.

- امتهان كرامتها وجعلها في واجهة العرض للأزياء وبالصورة المتبذلة، وفي التعريف بأنواع البضائع بالإعلانات.

- التمتع بها فترة نضارتها ثم نبذها كما ترمي النواة.

ولقد انساقت المرأة الغربية مدفوعة خلف هذا التيار، لأنها خالية من الثقافة، وبعيدة عن المعتقد.

ثم أراد العقلاء من مفكري رجال ونساء الغرب، وبعد أن أدركوا سر انهيار الأسرة، وتفكك المجتمع لديهم، بأن ذلك جاء من الإنسياق وراء تيار بعد عنهم مداه، ولم يحسوا بنتائجه إلا بعد فوات الأوان، العودة للقاعدة الأصلية المستمدة من التشريع، والذي تأثر به الغرب من الثقافة الإسلامية في الأندلس، ولا زالت تلك الجهود متعثرة لأنها لم تجد الإستجابة في الدعوة، والرغبة في المنطلق، مع أن الإحساس

موجود، والألم مما حل بهم يتردد صداه.

كما أدركوا أيضاً أن إصلاح هذا المجتمع لاسبيل إليه إلا بتغييره من أساسه بعد أن قارنوا ذلك بالمجتمع الأسري المترابط عند المسلمين، مع فقرهم وتخلفهم الحضاري، على حد نظرتهم ومقاييسهم:

وانقسم المجتمع الغربي على فئتين:

- واحدة تريد مساواة المجتمعات في النظم مركزين على الإسلام، والذي لايستطيعون النفاذ إليه إلا بإفساد المرأة وإخراجها من بيتها ومجتمعها وتعاليم دينها.

وقد ساعد هذه الفئة: رجال الكنيسة ليسهل عليهم النفاذ إلى قلوب الناس والتغلغل إلى وجدانياتهم ورجال المال ليروجوا مصنوعاتهم المخصصة للمرأة هناك، وإثارة عاطفة غريزية لدى المرأة في حب التجمل والأناقة، للتحكم في نقطة الضعف فيها، وفي الرجل أيضاً.

وكذلك راغبي الربح السريع، والمكسب الأكثر: من تصوير وتمثيل، وتلفزيون وسينما، فاستغل هؤلاء، وهؤلاء من نفذ للمجتمعات الإسلامية تعاطفاً مع رغباتهم، ومنطلقاً من هدف

الوصول للمال بأي طريق. فاستغل الجميع ضعاف النفوس، ومن لاخلفية عقدية تحميه، أو تجعله يتبصر في الأمور بميزان الأوامر، ومصلحة الأمة.

هذه الفئة من رجال ونساء، أسميها الفئة الحاقدة على الإسلام، الراغبة في تقويض دعائمه، لأنني أشك في عدم إدراكها للآية الكريمة في سورة البقرة: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[١] .

كما أنهم يدركون مغزى الحديث الشريف: «ما تركت على أمتي أشد فتنة من النساء». فبمحاولتهم إخراج المرأة من بيتها، وتمردها على أسرتها، تتحرك الفتنة، ويفسد المجتمع، وتنساق المرأة خلف رغباتها الشخصية، وتصبح دمية تتحرك بلا وعي، وأداة طيعة تساق بلا رغبة.

وإذا كانت بعض المجتمعات لاتعي ذلك فإن على الفاهمين والدعاة دوراً في التوضيح كجزء من الأمانة العلمية حتى لايقودوا المجتمعات للهاوية، كما حصل في كثير من المجتمعات الغربية حيث تنشر الصحف يومياً وقائع مؤلمة لما

---

(١) آية ١٢٠ من سورة البقرة.

وصلت إليه المرأة في الإباحية والتحلل فقد نشرت إحدى الصحف نقلاً عن وكالات الأنباء قائلة: أمريكا تفوقت في إباحتها على ما سواها من دول العالم الإباحية، هذا ما انتهى إليه خبراء الدراسات السكانية وأبلغوا به الكونجرس الأمريكي بعد أن تبيّن أن نسبة الأمهات المراهقات (دون الزواج) في الولايات المتحدة تزيد كثيراً عن ما هو مسجل لدى دول العالم الصناعي الأخرى.

وتقول جاكلين فورت مديرة البحوث بمعهد آلان جوتما نشر في دراسة عرضت على الكونجرس الليلة قبل الماضية إن نسبة المواليد من سفاح لأمهات مراهقات في الولايات المتحدة تزيد بشكل ملحوظ عنها في كندا وفرنسا وانجلترا وويلز وهولندا بل والسويد أيضاً التي كانت حتى عهد قريب تعد زعيمة الإباحية في العالم[١] .

- والفئة الثانية أدركت عمق الإسلام وأصالة تعاليمه في تماسك المجتمعات وترابط الأسرة، وأن الإستئناس بتوجيهات هذا الدين بمصدريه: كتاب الله وسنة رسوله في تنظيم الأسرة،

---

(١) جريدة الشرق الأوسط السبت ١٤٠٥/٨/١٤هـ الصفحة الأخيرة.

وتربية المرأة، هو السبيل لإصلاح واقعهم، وانتشال مجتمعهم وإنقاذهم مما انحدروا إليه عندما قلدوا بدون وعي وفهم.

وهذه الفئة أضعف من الأولي، وأقل تحركاً. لأن الأولى تحركها أفكار وأموال ورغبات وأهواء، واليهود بتخطيطهم وخبثهم ومطامعهم خلف ذلك.

لكن المفكر المسلم - رجلاً كان أو امرأة - ما دوره حيال مجتمعه الذي انتهشته النوازع وغزته الفئة الأولي في عقر داره بشرورها وضررها وأطماعها؟؟!!

هل يقف متفرجاً ودينه يأمره بالأمر بالمعروف؟؟

أم يتغاضى عن داء ينخر سوسه في أعماق أمته، ودينه يعمق في نفسه قول الرسول الكريم ﷺ: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»؟؟

فما دامت الظواهر التي أدركها المدققون من علماء النفس والاجتماع تعطينا مؤشراً عن خفايا المرأة الباطنة، فإن أهم مؤثر في هذه النفسية يكمن في تحريك العاطفة الدينية، وإثارة مسببات الجزاء والعقاب من جانب، والثواب والنتيجة من جانب آخر، ومقارنة هذا بالمظاهر المحسوسة في الحياة اليومية،

وما تركه الإسلام من مزايا لهذا وذاك.

ذلك أن دور الفرد المسلم - من رجل أو امرأة - أن يثير العاطفة الكامنة في النفس - وخاصة المرأة - التي يتحرك وجدانها طواعية وتنفيذاً، إلى جانب ما جبلت عليه من عاطفة ورقة، وغريزة الأمومة، التي ترغبها في الإستقرار الإجتماعي، والثبات الأسري.

إن سهولة قيادة المرأة وانضباطها، واستجابتها للتنفيذ مع الرغبة في الطواعية، والحرص على المسالمة وعدم العدوان، فكل هذا غريزة جبلت عليها، وطبع يسري في دمها بسهولة في الحركة والعاطفة يجب أن توجه بموجبه التوجيه السليم، ولنا في نساء الأنصار، ونساء الصدر الأول أسوة في رغبتهن فهم الدين بسرعة، وحرصهم على التنفيذ كما ورد في قصة الحجاب، وقصة المبادرة بالصدقة، مع حرصهن بسؤال أزواجهن إذا رجعوا من مجلس رسول الله عما أنزل ليطبقنه.

لكن المرأة عندما يضعف لديها الوازع الديني، والفهم الواعي فرسالتها في الحياة حسبما شرع الله تكون فريسة لمن يستغلها كدعاة التحلل.

والنفس البشرية أودع الله فيها: سجيّتين كامنتين: الخير

والشر، ويمكن تغليب إحداهما على الأخرى بإثارة كوامنها، وتحريك مسبباتها، والشرائع الدينية أسمى محرك لعامل الخير وتنشيطه في النفوس والمجتمعات.

ودور المصلحين في المجتمع الإسلامي تحريك وتوجيه المرأة فيه لما يحقق سعادتها وسعادة المجتمع لأنها سهلة الإستجابة للخير، وترغب في السعادة الأسرية، وهذا لا يتأتى إلا بالإستقرار وتنفيذ الأوامر بطواعية، استجابة لداعي الخير، وتوجيهات العقيدة.

فلو فرضنا أن قانوناً تشريعياً صدر يتعلق بالبيت والأسرة، أو التموين المنزلي والملابس لكانت المرأة المحرك الأول للاستجابة خوفاً من العقاب، ورغبة في التوفير.

ومن هنا فإن دور الرجل المدرك، والمرأة الواعية تحريك عامل الخير في المرأة المسلمة، وتوجيهه الوجهة السليمة، لتصدر في أعمالها عن تعاليم الإسلام تطبيقاً ومنهجاً، ولكي تنبذ العادات والتقاليد المستوردة، وبالتالي ترغيبها بالإستقرار في بيتها والمحافظة على سلامة أسرتها أخذاً من قول الله تعالى: ﴿ وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[١]

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

لأن مهمتها شاقة، ورسالتها نحو المجتمع كبيرة وعظيمة.

فالأم إذا كانت مسلمة ملتزمة تحترم دينها وتصدر عن تعاليمه في جميع أمورها، فإنها لابد أن تحرص على أوامر ربها وتنفذها بطواعية وانقياد، وتمتثل لما أمر به رسوله الكريم، وما آمتثلته نساء الصدر الأول من هذه الأمة، فتنتهج طريقهن، وتفهم واجبها مثلما فهمنه، وبذلك تكون خير مدرسة تخرج الأجيال الصالحة البناءة، لأنها ستكون بلا شك صالحة في نفسها، بانية لمجتمعها، مؤدية لدورها في الحياة، كما قال شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتهــــا أعددت شعباً طيب الأعراق

وإذا كانت المرأة في المجتمع الغربي والشرقي، قد فقدت مثل هذا المصدر الذي ينقذها من متاهات الحياة، فأصبحت تتلمس الطريقة فهي ولاشك إذا رأت الآثار الحسنة، والنتائج المفيدة في المجتمع الإسلامي، فإنها يقيناً سوف تنقاد عن قناعة وتتأسي بسهولة وذلك بالقدوة والعمل، حيث أدرك المفكرون والدارسون في تلك المجتمعات - من رجال ونساء - ما حققه الإسلام للمرأة المسلمة من دور، وما كفله لها من حقوق ومكانة، إلا أن الذي أوقفهم عن الإحتذاء أن كثيراً من

نساء الإسلام ومفكريه لم يدركوا هذا ولم يسيروا عليه زهداً فيه، وتقليداً لغيرهم.

إن كل فرد في المجتمع الإسلامي يجب أن يحس بأن الأمر يعنيه فيعمل ويجتهد، وأنه هو المخاطب بالتشريع فيحاسب نفسه ولايتوانى.

كما يجب أن يحس بأن الخطر سيدهمهم من تحريك الإستجابة لعامل الشر، وتجاهل ما ترمي إليه الأوامر التي جاءت لحفظ الفرد والجماعة، وأن من سيصطلى بنار ذلك الشر ولهيبه، هو من كان عارفاً وأسلم لنفسه عنان شهواتها، لأن الله يقول: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم﴾ [سورة محمد آية ٣٨].

إن من أقوى دعائم المحافظة على المجتمع، ورعاية براعمه الصغيرة الأم، حيث يجب إعدادها وتربيه خلقها وروحها، وبآثار ذلك يسعد المجتمع، وتتكون القاعدة الصلبة التي يمكن الارتكاز عليها.

فأولادها هم دعائم المجتمع وبناة مستقبله، لأن حكمة الله اقتضت أن الصغير يكبر والكبير يهرم، والهرم يموت.

ولقد كانت أم عمارة الصحابية الجليلة نموذجاً لنساء الرعيل الأول بالحرص على أن تكون فاهمة لدينها، واعية لمضمون تعاليمه، في نفسها بالعمل، ولأولادها بالتربية والتوجيه، وكل نساء الإسلام في أي زمن وبأي أرض أسوة بأم عمارة وأمثال أم عمارة، لأن التوجيه من الأم المدركة الواعية ما هو إلا بذور حسنة في أولادها ومملكتها الصغيرة ليجني المجتمع آثار ذلك.

والرقة والحنان اللذان جبل الله المرأة عليهما، فيهما فوائد كثيرة من حيث سرعة الإستجابة في الأخذ والإدراك والوعي للمدلول الحسن، والقدرة على العطاء والتوجيه فيمن حولها.

وهذه الحيلة يحسن أن تستثمر في الأمور المفيدة ذات الجذور العميقة في الدلالة والعمل، وتبتعد بحاستها الفطرية، المعروضة على ميزان العقيدة الدينية، وتعاليم دين الإسلام عن كل شيئ موجه إليها غزواً وإغراء، لتبرز بذلك شخصية المرأة المسلمة الواعية التوجيه السليم، حيث تكون قدوة صالحة لنساء العالم الذين تاهوا في مسارب الحياة، وعزت عليهن القدوة التي يمكن أن تحتذى.

نظرتهم لمكانة المرأة المسلمة

تقول إحدى النساء الألمانيات: إن المرأة المسلمة تعيش وتعامل كملكة من حيث الإحترام والتقدير، وتتصرف كملكة بإعطاء الأوامر وإلقاء التعليمات، وتقابل أوامرها وتعليماتها بالطواعية والتنفيذ، كما تنفذ أوامر الملوك والرؤساء.

لم تكن هذه المقالة صادرة عن عاطفة أو شعور خاص، ولم تكن في موقف يدعو للمجاملة وإثارة العواطف، بل لم تكن من امرأة مسلمة، حتى تتهم بالتحيز والمغالاة.

وعلاوة على هذا فلم تكن هذه المقالة صادرة عن امرأة قرأت الأديان وعرفتها، وحتى يقال إن هذا الرأي جاء عن مقارنة، ووضوح للمزايا.

ولا ممن استظهر التاريخ وقلّب أحداثه، وعرف خفاياه، حتى يصدر عن عمق الدارس، ومقارنة الفاهم الواعي، لما صدر في سجلات التاريخ عن حياة الأمم.

لكنها تجربة من الواقع، ،كلمة صادرة عن امرأة من وسط المجتمع، تعيش كما يعيش غيرها وتحس بأحاسيس أفراده،

فهي تنظر إلى المجتمع كما ينظر إليه مئات الملايين من بنات جنسها في أطراف المعمورة، تفكر في الحاضر، وتتفحص مجريات الأحداث اليومية.

آراؤها تصدر عن عاطفة الأحاسيس، وأفكارها منبعثة مما يحيط بها، وتزن ذلك بميزان الرغبة الملحة في النفس، المعبرة عن قناعة التصرف، والحاجة إلى التطبيق، لأنها تبحث عن الأفضل، وترتاح إلى الأحسن.

والمرأة الألمانية عندما تصدر حكماً كهذا، فإنما هو حكم الراغب في الحياة الهادئة، المستقرة في البيت والأسرة، لأن الحرب العالمية الثانية، وهي أقرب حرب تعيش جذورها في دماء الألمانيات حتى يومنا هذا، قد رفعت نسبة النساء في المانيا عن عدد الرجال بنسبة بالغ في أرقامها بعض الكاتبين، لأنها تركت آثاراً عميقة وجروحاً لاتندمل في قلوب الأمهات، حتى قيل: بأن بعض القرى لايوجد بها رجل واحد.

ومن هنا جاء حرص المرأة الألمانية على الاحتفاظ بشريك الحياة، والمغالاة في الحياة الزوجية، واهتمامها بالأسرة والولد.

والمرأة عندما تتحدث عن تجربة، وتتكلم عن إحساس، فإنها تعبر عن مشاعرها الكامنة وتنبىء عن عواطفها وما ينغص

عقلها الباطن، ووجدانها العميق.

وأساس هذه المقالة المشار إليها تبدأ منذ خمسة عشر عاماً أو تزيد، عندما استقر أحد الشباب الحريصون على التمسك بدينهم الإسلامي للدراسة هناك، طلباً في علم وتزوداً من معرفة، فقد رغب في الزواج من زميلته الألمانية في السنة النهائية بكلية الطب بعدما أعجب ببعض طباعها وخلقها وحسن تصرفها.

لكنه فرض عليها كشرط أساسي للزواج أن تتقيد بتعاليم الإسلام في اللباس والإحتشام والعادات، وتسمية الأولاد، والأكل ومراسيم الزواج، أما الديانة فلها حرية الإختيار بين البقاء على مسحيتها أو الدخول في الإسلام.

طلب منها ذلك لثقته بأنها في حالة القناعة من الأشياء التي طلبها منها، ورغبتها فيه هو كشريك لحياتها، فإنها ستعتنق الإسلام عن طواعية ورضا.

وتمضي الأيام، وكل واحد من الزوجين يحترم شعور صاحبه وعاداته، حيث ألهتهما الحياة العملية، والشهرة التي حظي بها الزوج في عمله بأحد المستشفيات هناك، ووقوف الزوجة إلى جانبه في هذا العمل.

وتأتي سانحة تتبدل فيها الأحوال، وتصبح فيها هذه الطبيبة الألمانية مسلمة بعد أن اقتنعت بالإسلام، وأحبت دوره الحيوي في حياة المرأة، حيث قالت كلمتها الآنفة الذكر.

هذه السانحة حركتها زيارة خاطفة لمسقط رأس زوجها عندما تلقى برقية من أحد إخوته يفيده فيها بأن والدته مريضة، وترغب في رؤيته قبل انقضاء الأجل، وهنا يخبر زوجته عن موعد سفره المفاجيء، وما وصله من أخبار عن والدته المريضة.

لكنها في هذه المرة تصر على مصاحبته في هذه الرحلة، لترى أمه التي طالما سمعت عنها، وحدثها زوجها عنها كثيراً. فلعلها تساهم في علاجها كتعبير عن شعورها نحو زوجها، هذا من جانب، ومن جانب آخر فلعل الفضول وحب الإستطلاع وراء هذه الرغبة.

وتشاء إرادة الله تعالى، وبعد أيام من وصول الزوجين لهذا البلد الإسلامي العربي، حيث تقيم الأسرة، أن تنشط الأم من علتها، وتبرأ من مرضها، فترى هذه الألمانية من العادات والتقاليد ما بهرها، وملك عليها مشاعرها، فلقد أحست من الإحترام والتقدير لهذه الأم بعد أن شفيت من مرضها ما غير إحساسها، وسيطر على كوامن نفسها.

فالأبناء والأحفاد يحتفون بنظرات هذه الأم وما تلتفت إليه، والجميع يتسابقون في تلبية رغباتها وطواعية أمرها، والكل يسعى لرضاها والصدور عن توجيهها، أما الأقارب فقد تباروا في الفرح بشفائها وعبروا عن ذلك بالهدايا وإقامة الولائم، وإثارة المباهج.

ثم يحرص الجميع على أن صواب الرأي ما صدر عنها، وحسن الإدراك ما ترمي إليه بقولها وعدم التردد في تنفيذ ذلك.

وزاد الأمر تأكيداً ما فرضته هذه الأم على ابنها القادم من ألمانيا لزيارتها بضرورة تمديد فترة البقاء عندها بكلمة واحدة، فاستجاب دون تردد، وهو المضطر للسفر لأنها تعرف ما أنيط به، وما يتطلبه العمل من المبادرة بالحضور، لكنه لايعبأ بذلك، ولايهتم بمصدر رزقه، ومنبع شهرته، لأن في هذا تحقيق لرغبة والدته، وتعبير عن تقديره وسره بها، خاصة وأن سفره الطويل البعيد قد أوجد جذوة في قلب الأم نحو ابنها ورغبة في الاستئناس بقربه مدة أطول.

تندهش هذه الألمانية من كل مارأت، وهي لم تر إلا القليل من مظاهر الإسلام، لتقول لزوجها كلمتها الآنفة الذكر.

فيجيبها زوجها بأن وضع الأم في نظر الإسلام يرفعها لمكانة الملوك، وأن ديننا الإسلامي رسخ في أذهان أبنائه طاعة الوالدين وعدم إغضابهما، ثم ترجم لها معنى الآية الكريمة: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[1] .

والحديث الشريف: «الجنة تحت أقدام الأمهات» وقصة الرجل الذي عجر عن التلفظ بالشهادة في آخر حياته لأنه فضل زوجته على أمه فغضبت عليه أمه، فأمر الرسول ﷺ بحطب لإحراقه، لأنها كانت غاضبة عليه، فلما علمت أمه رق قلبها وسامحته برضا منها فنطق لسانه بالشهادة ثم مات فترحم عليه الرسول الكريم ﷺ وغير هذا من النصوص التي بهرتها.

عندها قالت: لقد كنت مترددة في الدخول في الإسلام، مع محبتي لعاداته وقيمه، لأنني قرأت وسمعت ضده من دراسات المستشرقين، وكلام رجال الكنيسة والمغرضين الشيء الكثير.

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٢ - ٢٣

أما الآن فإنني أدخله عن قناعة لابعد لها قناعة، فلقد وجدت فيه ما تتطلع إليه نفوس البشر، وخاصة النساء في أوربا عموماً، وأدركت المكانة الرفيعة التي تحتلها المرأة في المجتمع الإسلامي، بالبر والصلة، والعطف والحنان، والتقدير والمودة.

هذه الخصال التي ترنو إليها المرأة في المانيا بصفة خاصة، والرجل والمرأة في بلاد الغرب بصفة عامة عندما تزحف بهم سنوات العمر، ويضعف الجهد والمورد، فلو أدركت نساء الغرب من تعاليم الإسلام ما أدركت بالمشاهدة والواقع لما تردد أغلبهن عن الدخول في الإسلام، والمبادرة للتعمق في تعاليمه.

فهذا الدين يرعى المرأة ويهتم بها، وخاصة بعد كبر سنها وشيخوختها، ففي الوقت الذي تضيع فيه المرأة في المجتمع الغربي وتنسى، بل يهملها أقرب الناس إليها، ولا يرعاها سوى دور العجزة وملاجىء الأيتام، ولايتلقفها سوى دور الرعاية ومحاضن ذوي العهات، ولايؤنس وحشتها الطويلة المملة إلا كلبها الذي ربته، أو ما يشابهه من الحيوانات التي ألفتها.

نجدها عندكم وفي مجتمع الإسلام تحظى بدور الملوك: مكانة

وعزاً، ومشورة ورأيا، ومراعاة واهتماماً.

وهي مكانة يجب المحافظة عليها والإهتمام بها، وألا تنساقوا كما انسقنا في بلاد الغرب مما كان له الأثر السيئ في حياتنا، بحيث لاطعم لها ولا روح.

فإذا كانت هذه الألمانيه بمقالتها هذه تحدثت عن إحساس عايشته وتجربة مرت بها فغيرتها من حال إلى حال، وأحبت الإسلام ودخلته بقناعة، فإن دور المرأه المسلمه أن تحافظ على مكانتها، وأن تتمثل بمركزها الذي بوأها الله إياه، وهذا لن يكون إلا بتطبيق الإسلام عملاً، بعد فهمه والإستجابة لتعليماته عن قناعة وطواعية.

أنقل هذه الحكاية كما سمعتها عن قصة إسلام إحدى الأخوات في ألمانيا، عندما زرتها في مؤتمر بشهر ذي القعدة الماضي من عام ١٤٠٦هـ، وهي حكاية أثرت في نفسي عن مكانة الإسلام والقدوة الصالحة فيه وأثرها في الدعوة إليه بهدوء وقناعة أنقلها كما سمعتها.

المرأة بين تعاليم الإسلام والأهواء

الحادثه التي أضعها الآن تحت نظر القارئة المسلمة سمعها ووعاها كل من شاهد تلفزيون القاهرة في أول ديسمبر سنة ١٩٧٩م في حوار فكري حول الإسلام ونظرته للمرأة، وقد ضم هذا الحوار نخبة من رجال الفكر والعلم في الجامعات.

وكان أحد الأسئلة التي طرحت يدور حول المرأة المسلمة بين تعاليم دينها، وأوامر ربها التي تدعوها للإحتشام والتستر، وبين رغبة بعض الآباء المبتعدين عن منهج الله ودينه، والداعين لبناتهم بإبراز جمالهن، وإظهار أنوثتهن لتنهشها الأعين المسعورة وتتمتع بها النفوس الجائعة.

وما ذلك إلا أنه في نظرهم أدعى لكسب الأزواج، وأسهل طريق في اعتقادهم للحياة الزوجية. ذلك أن بعض الناس يرى المرأة كالسلعة المعروضة للبيع، فهو يرى حسن عرضها، واختيار المكان المناسب لذلك.

لكن أحد الدكاترة من المتحاورين قد انبرى للرد على هذا المفهوم، مشيراً إلى أن الإسلام قد حمى المرأة، وصان

كرامتها، ولكي يكون كلامه ملامساً لأوتار القلوب فقد قرن ذلك بقصة من القصص التي حصلت أمامه، وذلك بأنه في إحدى المحاضرات التي أداها بكلية البنات، تقدمت نحوه بعد إنتهاء المحاضرة إحدى الطالبات المحتشمات في لباسها ومظهرها بمثل هذا السؤال: وأن والدها بكرهها على السفور والتبرج، بحجة أنه لن يتقدم أحد لخطبتها، لأنها متحجرة وستبقى عالة عليه.

فأجابها الأستاذ بأنه «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» وأن عليها أن تطيع الله أولاً بنية صادقة، وقلب متفتح لتعاليم دينه عن قناعة وطواعية، وحب ورضا، وأن الله سيجعل لها مخرجاً إذا عرف صدق نيتها، وتسليمها الأمر إليه قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب﴾[1] .

ثم أجابها بأن الله هو مسبب الأسباب، ومهيء الأمور.

ولما كانت الطالبة صادقة في إيمانها، حريصة على المحافظة بشريعة ربها، فقد أخذت الأمر بجدية الإسلام بعد أن سلمت

---

(١) سورة الطلاق آية ٢ - ٣

أمرها لله، وسارت على منهج أوامره عملاً وتحملت ما أحاط بها من ضغوط، ولم يتغير مسلكها بالمؤثرات المحيطة بها.

وما هي إلا أيام لم تتجاوز كما قال المتحدث الشهرين، وإذا بهذه الطالبة تتقرب منه بأدب وحياء، لتأخذ منه موعداً تقدم له فيه شريك حياتها الذي ساقه الله إليها، دون أن تتبذل أو تتبرج، ودون أن تتخلى عن تعاليم دينها، وأوامر ربها، ومن غير حاجة إلى زعزعة عقيدتها الإسلامية: قولاً أو عملاً.

لقد ساق الله إليها شاباً متزناً، لديه رجاحة عقل، واستقامة خلق، يتسم بالوقار والحشمة، تبدو على محياه سيماء الهدوء، وتتجلى في طلعته ملامح الشاب المسلم، الذي عرف ربه، وطبق ما جاء به نبيه محمد ﷺ.

إنه طالب في المرحلة النهائية من كلية الطب، ومثله أمل كل فتاة، شباب وحيوية، استقامة ودين مستقبل وعلم.

لقد ربط بين قلبيهما بعقيدة الإسلام، وجمعت بينهما مظاهر هذا الدين المتمثلة في الإبتعاد عن كل ما يشين، أو يزري بالفرد المسلم: من حيث المظهر والسلوك.

وما المظاهر في مجتمع كمجتمعات المدن الكبيرة، إلا دليل

قاطع عما يعتمل في القلوب أو يسري في جوانح النفس من خير ومحبة، وعقيدة وامتثال.

قدمته لذلك الأستاذ الذي عركته الأيام، وأدرك مكانة تعاليم الإسلام في حماية النفوس لتقول له: لقد كان أبي يريدني أن أترك الحجاب والإحتشام، واتبذل وأتبرج، لكي أفوز بشريك العمر، وهو مسلك تسير عليه بنات الغرب عندما يخطون إلى عتبات الجامعة، لكن منهجهم غير منهجنا وعقيدتهم ليست شريعة لنا، وما ذلك إلا أن مخططهم يريدون لنا انتهاج ذلك الطريق تقليداً بعدما وقعوا في العثرات، وصدق الله إذ يقول في كتابه: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصاري حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾[١] .

لقد علم الله حال وصدق نيتي حيث أصررت على محافظتي على ديني بعدما قلت له ما قلت: وها هو شريك الحياة قد ساقه الله على عجل، كبرهان قاطع على زيف الآراء القائلة بأن التبرج والتبذل، ونشر المفاتن هي من الأسباب الحقيقية للفوز بالحياة الزوجية، وعدم صحة هذه التخمينات.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٠

كما أنني أرجو من الله السعادة بجانبه في حياتنا المقبلة، لأن القاسم المشترك بيننا، والذي ربطنا هو الدين.

لقد امتلأ قلب هذا الأستاذ فرحاً، وازداد بشراً لانتصار مبادىء الإسلام واندحار الأقوال المضادة، ولعل الدافع لهذا البشر التي ظهرت على المتحدث وهو يروي الحكاية كبرهان عملي لإقناع المشككين في دور الإسلام في إصلاح المرأة وحماية المجتمع، سببان:

الأول: أصالة هذه الفتاة في فهمها لتعاليم الإسلام، وقناعتها في أوامره، وأنها لم تأخذهُ كتقليد دون وعي لمدلوله، وفهم لشريعته، بل إنها أخذته عن فهم وإدراك، وطبقته عن يقين وتبصر.

الثاني: سرعة استجابة الله لنداء قلبها، لتزداد ثباتاً على دينها، وارتباطاً به، ولكي يشرح الله صدور كثير من الفتيات والنساء للإقتداء، والآباء للكف عن التضليل، ألم يقل سبحانه في محكم التنزيل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[١] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦.

وبعد أن دعا لهما بالتوفيق في الحياة الجديدة، قال وكأنه يودعهما بنظراته، ويتمنى لهما الإستقامة على هذا المنهج، ولشباب المسلمين في كل مكان ذكوراً وإناثاً حسن الإستقامة وفهم حقيقة تعاليم الإسلام: لقد تمثل أمامي كحقيقة لاتقبل المراء قول رسول الله ﷺ : «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه»، وأدركت دلالة القول المأثور: «كن مع الله ولاتبالي».

وختم المتحدث موقفه بقوله: إنه في الوقت الذي نجد شباباً خليت قلوبهم من دعائم الإيمان فلا يفكرون إلا في تقاطيع جسم المرأة ومفاتنها، نجد في المجتمع الإسلامي نماذج أخرى زاكية وطيبة، تفكر في الدين والخلق، ويهتمون بالإستقامة والإحتشام، ويحرصون بكل ما أوتوا من جهد وعلم تطبيق حديث رسول الله ﷺ : «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه مسلم.

هكذا ياأختي المسلمة يجب أن نتعرف إلى الله في الرخاء كما قال رسول الله ﷺ في وصيته لابن عباس، حتى يعرفنا سبحانه في الشدة، ويذكرنا وقت الأزمات ويزيل عنا الكربات إبان تأزمها.

منهج المرأة المسلمة

إن خير ما تسلكه المرأة المسلمة في هذه الحياة، هو منهج دينها وتعاليم خالقها، لما في ذلك من راحة للنفس، واتباع للفطرة، وخير طريق تسير فيه، هو الطريق الذي سارت فيه الصفوة الأولى من بنات جنسها أولئك النسوة اللواتي تربين على يد محمد بن عبد الله ﷺ ، وتخرجن من مدرسة الرسالة الأولى، حيث تتلمذن على عائشة وأم سلمة وذات النطاقين وغيرهن.

ولئن كانت المرأة الغربية قد سئمت حياة التبذل والضياع، حيث وجدت نفسها في مجتمع لايرى للضعيف حقاً ولا للمرأة احتراماً، ولايقيم للتعاليم الدينية وزناً، لأنه يجد في تلك التعاليم التي تفرضها عليه الكنيسة تناقضاً بينها وبين متطلبات حياته.

فإنه قد ظهر في بعض المجتمعات الإسلامية من يريد للمرأة المسلمة، بدون روية أو تبصر أن تسير في هذاالدرب، وتنحدر إلى ذلك المستوى، عن تقليد غير مدروس، ومحاكاة بغير تعقل.

قد يقول بعضهم غير ذلك، أو يعلل لهذا المنهج بمبررات أخرى، لكن تغيير المسمى لايغير من الواقع شيئاً، إلا أن مما يمكن الأمر، ويرسخ مفهومه، يجب أن نأخذه من المصادر المقنعة والوقائع الحقيقية.

وما سأورده هنا شهادة حق جاءت على لسان نساء في بلاد الغرب، مؤكدة لما أحله الإسلام للمرأة المسلمة من مكانة، وهي حادثة حقيقية منذ أكثر من ١٥ عاماً.

ففي إحدى الجامعات الأمريكية، وفي انديانا بالذات، كان النقاش حاداً بين أحد من أثق بهم من الدارسين العرب هناك، وبين زميلاته في الدراسة في تلك الجامعة، أثناء دراستهم العليا.

هو يدعو للتمسك بتعاليم الإسلام كقوة لإصلاح المجتمعات، ورعاية مصالح الناس فيها ذلك الدين الذي رعى حقوق المرأة وصانها، ورفع من منزلتها وأحلها أرفع المستويات بعد أن كان الرومان يبيعونها كما يباع قطع الأثاث، والإغريق يعتبرونها جزءً من متاع المتوفى يرثونها كما يورث، وبعد أن كان العرب في الجاهلية يقتلونها وهي حية، ولايورثونها من أقرب الناس إليها، ولايقيمون لها وزناً، لأنها في نظرهم ناقصة.

ويستشهد لهن بما هومحسوس في ثقافتهن، حسبما جاء في الكتاب التأريخي الموسع: قصة الحضارة لديورنت.

أما هن فيدعين إلى التحرر والإنطلاق، والأخذ بملذات الحياة بلا رقيب أو حسيب، قبل فوات الفرصة، والفرصة في عمر المرأة قليلة كالزهرة المتفتحة تذبل بعد قطافها، ويدعين إلي خيالات ارتسمت في أذهانهن صوراً ومظاهر عن مساوات المرأة ومشاركتها في جميع المجالات.

فاحتكموا إلي عميدة الكلية، التي حضرت جانباً من نتائج هذا الحوار الذي لم يلتق فيه الطرفان، فهما كالخطين المتوازيين.

فقد كانت هذه العميدة من ذوات المنهج الذي يلائم بعض النساء قاصرات النظر والعمق، في باديء حياتها، وأوائل مسيرتها.

لكنها بعد أن عركتها الحياة، وقاست حلوها ومرها، أدركت مكانتها الحقيقية في المجتمع، وما ضاع عليها من فرصة كامرأة يجب أن يكون لها نمطها في الحياة، وهو النمط الطبيعي الذي فطرت عليه.

رضي الجميع بذلك لأن هذا المسلم قد حاورها وناقشها من قبل، وعرف رأيها الأخير بعد دراستها للإسلام، ثم نضوج عقلها وتبصرها في الأمور، أما هؤلاء النسوة فقد قبلنها لأنهن قرأن لها كتابات في أوائل العمر تفيض بحماسة الشباب، التي تتسم بالتقليد، وتبني وجهة نظر معينة من باب التعبير عن النفس، وجذب الإنتباه للذات، ولشدّ ما كانت الدهشة عندما استدعت واحدة من كبريات الأستاذات عندها في الكلية، لإستجلاء النقاش،و الدخول في هذا الحوار الذي اتفقتا سوياً فيه على جواب واحد مليء بالحسرات، وضياع فرصة العمر.

هل تدرين ياأختي المسلمة ماذا كان جواب هاتين الكبيرتين سناً، البارزتين مركزاً، الكبيرتين بمستوى شهاداتهما وانتاجهما العلمي، حيث تهتمان بالعلوم الإنسانية، والنفسية.

فبعد التأوه على ضياع العمر بدون زواج، وبدون أبناء قالتا لهؤلاء المتحمسات، يجب أن تتركن تلك الشعارات، وتعدن لحياتكن الطبيعية، فالمرأة أجمل أوقاتها مناجاة طفل، وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية، وألذ ثمرة تقطفها تربية أجيال، ثم أردفتا بالقول:

لقد تحصلنا على أكبر مركز تتوق إليه المرأة - بل الرجل - وفزنا بأكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والجاه والمال، لكن ذلك كله خالٍ من السعادة بمفهومها الحقيقي.

إن السعادة الحقة للمرأة - بعد أن درسنا الديانات المختلفة - قد رسمها دين هذه الرجل بتعاليمه ومبادئه، والحقوق التي أعطاها للمرأة، والمنهج السليم الذي رسمه لها لكي تكون عاملة ومنتجة ومفيدة، وأشارتا إلى زميل الحوار.

إن دين الإسلام يدعو المرأة إلى الحفاظ على مكانتها كأم وزوجة، ومربية للأجيال وسكن وراحة للأسرة، وما شاركت به بعد ذلك فمناسب وفق ما تقدر عليه من جهد في حشمة ووقار.

هذه شهادة حق لم يحتج بعدها الطرفان المتنازعان إلى إثبات دليل، أو مداولة رأي، جاءت على ألسنة من عرفوا الحقيقة بعمق المتفهم، وبعد نظر الدارس، وممن مارسوا الحياة، ونطقوا عن تجربة، ثم عبروا عن ألم مكبوت.

وفي مثل هذه الشهادة نجد كثيراً مما يلمس ويقرأ في حياتهم هناك، مما يجب أن تدرك معه المرأة المسلمة الدور الكبير الذي هيأه الله لها، في تهيئة الرجال، وإعدادهم للحياة،

والرجال هم أثمن كنز تحتفظ به الأمة، وأغلى جوهرة في جيدها، حيث تبني الحضارة، وترتفع الأمم برجالها الذين أحسنت الأمهات توجيههم، وفي المثل يقال: خلف كل رجل عظيم إمرأة.

والحق ما شهدت به الأعداء، إذ لم تكن هذه الشهادة وليدة رأي عاطفى أو انفعال نفسي، ولم تكن مستجلبة بمال ذي منفعة، أو تأثير سياسي أو اجتماعي.

لكنها التجربة بحذافيرها، والحقيقة بواقعها، من امرأتين قاربتا سن التقاعد، وانحسر ظلهما عن الأضواء.

وفطرة الله التي فطر المرأة عليها تحركت في نفوس كثير من نساء الغرب، ولا أكون مبالغاً إذا قلت فيهن جميعاً، بعد تجاوز سن اليأس، والوصول إلى مرحلة التعقل والتبصر في العواقب، وجني الثمار.

ولا شك أن كثيراً من النساء في المجتمعات الإسلامية، ممن انسقن خلف بعض الأقوال والإدعاءات، في تقليد لايدري عن عمق أثره، قد تبدت أمامهن الصورة، وقرعن سن الندم عما فرطن في سالف أيامهن، من تضييع فرص الزواج المبكر: بحجة الدراسة، والرغبة في الوظيفة، أو الوصول لمركز مرموق

فهل تعي المرأة المسلمة دورها الحقيقي، وتستقيه من مصدر التشريع السماوي الذي جاء به محمد ﷺ من عند ربه، وتتعمق في ذلك فهماً، ثم تسير عليه منهجاً لتكون لها شخصيتها المستقلة، ومكانتها المرموقة، فتكون في موطن القيادة بدل أن تكون مقلدة، وتتبوأ مركز الزعامة دون أن تساق لهدف لاتدريه، وغاية لاتدرك مدى نتائجها.. ذلك ما نرجوه.

فحنان الأم، وسكن الزوجة، ودفيء الحياة المستقرة لاتعوضه الأموال، ولاتقوم مقامه الحاضنات والمربيات، ونتائج ذلك لاتظهر عاجلاً، لأنه كالسوس الذي ينخر بخفاء في جنب الأمة،ويقوض كيانها، ولاعلاج لذلك إلا بالتغيير الكامل والله يقول وقوله الحق: ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له، ومالهم من دونه من وال﴾[1] .

فمن فطرة الله التي فطر الناس عليها أن لكل من الرجل والمرأة وظيفته في الحياة التي لايسدها غيرة ولايفيد في أدائها سواه، مما جبلت عليه نفسه، وهيء لها طبعه.

---

(١) سورة الرعد آية ١١.

أثر الحجاب في هدوء النفس

الحجاب هو ذلك الكساء الذي تستر به المرأة محاسن وجهها فيضفى عليها وقاراً يرد عنها نظرات الفضوليين، واختلاسات من لاخلاق لهم، فقد فهمت نساء الأنصار والمهاجرين عمق دلالته، وما يعنيه، فطبقن ذلك عملاً عندما نزلت هذه الآية الكريمة التي خاطب الله فيها نبيه الكريم في تشريع للأمة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾[١] .

هذه الآية الكريمة التي قد نمر بها ونقرؤها قراءة عابرة، دون أن نتعمق في مفهومها، وقد نعى مدلول مفرداتها دون أن نسبر غورها، ودلالتها الإجتماعية، وتأثيرها النفسي، وقد يأتي منا من يفهم المعنى بأنه قصد به إضفاء الجلباب على جسم المرأة كاملاً لسترها عن الفضوليين، ونظرات ذئاب البشر، لكن فهم الإسلام أمكن، ودلالته على المراد أمكن.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٩.

والفهم في هذا قد يختلف، والمدارك قد تتوسع، بحسب ما أسبغ الله على عباده من نعمة للفهم، وإدراك للمغزى، وتأثير على المجتمع والأسرة.

ولن أتعمق مع المفسرين - رحمهم الله - حديثاً وقديماً في المدلول الظاهر والإستنتاجي لذلك، ولا لما أوردوه من مفهوم طبقته نساء الصحابة رضوان الله على الجميع بعد نزول هذه الآية، إذ كتب التفسير تفيض بتلك الآراء التي ترسخ المفهوم الحقيقي لدلالة هذه الآية الكريمة في المفهوم اللغوي والشرعي، وهي تحت سمع وبصر من يريد التوسع والتعمق.

لكنني وفي مجال كهذا أخاطب العقول بما هومحسوس لديها، وأكتفي بنقل حادثة من الواقع حكيت أمامي وتأثرت بها، والناس يبلغ عندهم الحدث قريب التناول، جديد الوقائع مبلغاً عميقاً، وإذا كان ديننا قد سبق إلى ذلك، فإن هذا مدخل لإفهامهم عن عمق الإسلام وتأثير ما ورد في القرآن الكريم، وأن مدلولات التوجيهات فيه تتجدد مع كل حدث، وأن مفهوم المسلمين لمعانيه يجب أن تتعمق في كل عصر، وذلك حسبما يتجسم من أحداث، ويرتسم لديهم من وقائع.

تلك الحكاية تنبيء عن طالبة في إحدي الجامعات التي فرضت الإختلاط تقليداً لما هو سائر في ديار الغرب مصداقاً للحديث الشريف: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل يارسول الله: اليهود والنصاري؟ قال: فمن؟!! أي فمن المعنى غيرهم.

فقد لاقت هذه الطالبة من زملائها الطلاب كل مضايقة في المدرج والممرات، في الفصل والمعمل، في الساحة والحديقة، في الطريق والحافلة.

وما ذلك إلا أنها تسير كما تسير بنات عصرها ممن ضعف عندهن المفهوم الشرعي لما يجب أن يتمسكن به، وقل الاحساس الديني فيما يجب أن يؤدينه، بعد أن جذبهن التيار الغربي وانخدعن بتقليعات المظهر في اللباس الوافد من دور الأزياء الغربية، وتبناه دعاة التقدم المزعوم من نساء ورجال في الصحافة أو الكتب الرخيصة، أو الدعوة في كل مناسبة، فلا رقابة تحميهن، ولا وازع من خلق أو ديانة لدى كثير من الطلاب يردعهم عن التعرض والإيذاء لهن فالشاعر يقول:

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيـــها الأسد

لكن لما كان في هذه الطالبة بقية من إيمان، وروح من يقين، فإنه قد ساءها هذا الوضع، ومن باب المحافظة على نفسها ودينها، فقد بحثت عمن تجد لديه الحل الذي يعينها على تخطى هذا الموقف، وشكت ما يمر بها إلى زميلة لها تتصف بالوقار المجلل بالإحتشام، حيث تتحلى بالأدب والتديّن، وتتجمل باللباس الساتر الذي يحجب زينتها ويخفي مفاتنها، ساقها إليها إحساس عميق، وشعور بأنها ستشاركها البحث عن مخرج.

ولم تتجه لواحدة من المتبذلات لأنها أيقنت بأنها لن تجد لديهن جواباً شافياً، أو حلاً مرضياً، ففاقد الشيء لايعطيه.

سألت تلك الزميلة عن المخرج من هذا المأزق، وكيفية الإحتماء ممن لاخلاق لهم، مع حاجتها لإكمال الدراسه في هذا الجو المحموم.

فأجابتها تلك الزميلة بأن الحل يكمن في الإمتثال لأمر الله، والتقيد باللباس الإسلامي الذي رسمته شريعة الله، وأبانت عنه السنة المطهرة قولاً وعملاً، وأن يكون لها شخصيتها المستقلة المستمدة من منهج الإسلام الذي أعطى المرأة فيه نموذجاً فريداً في المحافظة والمظهر، والوقار والحشمة، وأن تقتدى بنساء الصدر الأول في الإسلام، أمهات المؤمنين ونساء المهاجرين

والأنصار ومن جاء بعدهم من هذه الأمة «فآخر هذه الأمة لايصلح إلا بما صلح به أولها» كما قال الإمام مالك رحمه الله.

فالمجتمع لايتغير بين عشية وضحاها، بل لابد أن تبدأ المتعلمات بفهم الدين، وتطبيقه، والصبر على كل أذية تسلّط، وتحمل كل كلمة جارحة يراد بها إبعاد المرأة عن مصدرها التشريعي، وتنفيرها من تطبيقه والمحافظة عليه.

سمعت هذا الكلام. فقررت أن تطبق ذلك عملاً، وأن تتقيد به سلوكاً، فدلفت إلى الجامعة في أحد الأيام بلباس مغاير لما عهد عنها، حيث تحولت عن الطباع التي تخلقت بها من قبل برضا وقناعة.

لقد شعرت من أول يوم بالراحة والهدوء في الجامعة والشارع، ووسيلة النقل، فقد بدأ الناس يحترمونها، ويعاملونها بأدب، لقد كف عنها الفضوليون، وسكنت تعليقات وكلمات من لا خلاق لهم، وإن كانت قد تلقت في بادئ أمرها تعليقات لازعة وعبارات قارصة لمحاولة زعزعة نفسها، ونزع الثقة منها، لكنها لم تعر ذلك التفاتاً، ولم تعبه بكل ما قيل لها، لأنها عرفت أن من سلك المنهج السليم لابد أن يلقى من العنت والمشقة ما يمتحن الله به نفسه، وتوصل البقاء بالثبات،

أو الإنهزام بالترك.

ولذلك قررت الثبات لأنها قد اقتنعت بتعاليم دينها الذي تعتز به، وامتثلت ذلك عملاً.

لقد عرفت في هذا الوسط الجامعي بأنها مسلمة محجبة، تحترم نفسها ودينها، فأحست بمفهوم جديد لتعاليم الإسلام، وذاقت طعمها كما يقول الإمام مالك بن دينار، ثم أدركت مغزى جديداً تمثل أمامها حقيقة بارزة، لما تدل عليه الآية الكريمة ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾[١] .

هذه قصة واقعية، وتجربة من الحياة حصلت في عام ١٩٧٨م بإحدى الجامعات العربية، وكنت سمعت وقائعها عندما زرت ذلك البلد في تلك السنة، وهي تنطبق على الحكمة السائرة: من احترم نفسه احترمه الناس، وقد تكون مثيلاتها أكثر من الحصر، وقد يكون مر ببعض المسلمات في كل مكان مضايقات تتمثل في وصفهن بالجمود والرجعية، وغير ذلك من الكلمات الجارحة، أو العبارات النابية، ولكن الصبر والتحمل هو سلاح المؤمن، والعلم والتطبيق هما أبرز صفاته وبذلك يرسخ الإيمان حيث يستحق الدفاع من الله الذي تفضل به على عباده في قوله الكريم: ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[٢] وقوله: ﴿ إن

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٥٩.

الله يدافع عن الذين آمنوا﴾[١] .

ولذا فإنه يجب على المرأة المسلمة، عندما تبتلى بأمر في دينها وخلقها، أن تتحمل وتصبر، وأن تأخذ من هذه الواقعة وأمثالها اعتباراً وتبصرة لتسير على منوالها، لأن هذا منهج الله الذي أراده لعباده المؤمنين، ودرب رسمته تعاليم الإسلام لخير أمة أخرجت للناس لا مناص من تطبيقه، لأنه ليس بمستورد من شرق أو غرب، ولا بأمر خاضع للنقاش والجدال وغلبة الحجة.

فالله لايختار لعباده إلا ما فيه صلاح أمورهم، واستقامة حياتهم وشئون معيشتهم ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيرا﴾[٢] .

ومثلما أن المرأة مأمورة بالحجاب وغض البصر فإن الرجل أيضاً مأمور بغض البصر لأنه السبيل للعفاف قال تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم

---

(١) سورة الحج آية ٣٨ (٢) سورة النساء آية ٨٢

إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾[١] .

فآداب الإسلام وتعاليمه توجه الجميع لما يحفظ هذا المجتمع من الزلل، وتحميه من أسباب المؤثرات في استقامة حالة، ولذا قال الشوكاني في نيل الأوطار: اتفق المسلمون على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه لاسيما عند كثرة الفساق، لاسيما في زماننا هذا زمن الفسق[٢] والشوكاني رحمه الله من كبار علماء اليمن وقد توفى عام ١٢٥٥هـ.

---

(١) سورة النور الآيتان: ٣٠ - ٣١.

(٢) ٦: ٢٤٥.

وصية امرأة لابنتها

ذكر صاحب العقد الفريد أن أمامة بنت الحارث زوجة عوف ابن محلل الشيباني قالت لابنتها توصيها عند زفافها وكانت ذات عقل راجح وهي وصية تحتاجها كل امرأة:

أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل وأدب، تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها.. كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء خلقن للرجال، ولهن خلق الرجال.

أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.

يابنية احملي عنى عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولايشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء

أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوع مغضبة، والإحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الإحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير. ولاتفشي له سراً، ولاتعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً، والإكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لاتصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك.

خير الكلام:

أخرج الترمذي عن أبي حاتم المزني مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وأخرج الدارقطني في الأفراد أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء..».

أما عمر بن الخطاب فيروى عنه قوله: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

مكانة المرأة

نحس في حياتنا اليومية ببعض المفارقات، ونلمس أمثلة من التباينات، وذلك بين نظرة بعض الناس للدين، ونظرتهم لمتطلبات نفوسهم، وتلبية رغباتهم.

ولعل الفارق بين النظرتين، مبعثه أن الناس لايؤمنون إلا بما هو محسوس، ولا يهتمون إلا بما يلامس أوتار قلوبهم، وبما يؤثر في مصالحهم، أو يتغلغل في مشاعرهم ووجدانياتهم.

والمرأة جزء من هذا الإحساس تتأثر بالمغريات وتنساق خلف الرغبات.

وحتى لايكون الحديث مجملاً، فإنه لابد من وضع نقطة نعتبرها محور المقارنة ومدار المناقشة.

ففي القرآن الكريم آيات تحث المرأة على الإحتشام، وعدم إبداء الزينة للغرباء لتتميز المرأة المسلمة بهذا المسلك الذي رسمه القرآن الكريم لها قال تعالى: ﴿ يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[١] .

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٣٢ – ٣٣

وقال تعالى: ﴿ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾[١] وقال سبحانه: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾[١]

فإذا كانت أوامر الله، وتعليمات رب العباد العالم بأسرارهم وما يصلح أحوالهم، قد رسمت المنهج الصحيح للمرأة في مظهرها ومخبرها كما في سورتي النور والأحزاب، لتبقي بوقارها وإتزانها، وعفتها وكرامتها، جوهرة مصونة، وكياناً له احترامه والمحافظة عليه، فلماذا نرى كثيراً من نساء المسلمين في كل مكان وخاصة الحاصلات على درجة كبيرة من التعليم، يُشحْن عن هذا؟؟ وينصرفن إلى التبذل والتبرج، بحجة أن مألوف الناس ورغبتهم، وأن نظرتهم وعاداتهم، قد دفعت المرأة باسم العلم والتطور إلي هذا الطريق، وبعضهن لاتحب أن تكون ناقصة عن غيرها في العمل والقدوة، أو في المظهر والتقليد، وكأنها تتساهل في أمر الله وتستجيب لرغبات النفس.

لكن النظرة الحقيقة التي يجب أن تعيها المرأة المسلمة، وتقتنع بها عن علم ودراية هي إدراك مكانتها في الحياة كامرأة تستقي تعاليمها، وتسترشد بمسيرتها في الحياة،

---

(١) سورة النور آية ٣١ (٢) سورة النور آية ٣١

بتعاليم سماوية، ساقها الله لإصلاح البشرية منذ خمسة عشر قرناً، ولاتزال تتجدد مع كل لون من ألوان الحياة، ويتيقن ذلك عن علم وبصيرة، واهتمام وعمل.

ولوألقينا نظرة في حياة الناس وواقعهم، حول تعليمات البشر، وأوامر القادة ثم اهتماماتهم بتطبيق أنظمة الدول المختلفة، لوجدنا النساء بالذات هن أول من يسعى للتطبيق والإئمار، وأسرع من ينجذب وينقاد.

فلو افترضنا زعيماً من زعماء البشر في أي مكان أصدر بياناً يشبه ما أصدره الحاكم بأمر الله الفاطمي، ويحدد فيه نوع لباس المرأة، والوقت الذي تخرج فيه من بيتها، ومنعها من ركوب الحافلات العامة ومزاحمة الرجال، وأكد في بيانه هذا بأنه سيضع رقباء يعطونه الأخبار، وأعواناً يطبقون الجزاءات، فماذا ياترى نرى؟؟

لابد أن ينساق الناس، ويستجيبوا خوفاً من عقاب زائل وترقباً لنتيجة عاجلة، وهذه الإستجابة تتمثل في سرعة التنفيذ، والتقيد بما يلقى من تعليمات، وفي هذه الحالة أتوقع أن شوارع المدن في تلك الأثناء ستخف بنسبة ٥٠٪ وأن أزمة المواصلات من أجرة وحافلات كبيرة سينعدم منها الإزدحام،

وستكون سهلة وميسرة لكل راغب في الوصول إلى هدفه بأقصى سرعة ممكنة، وسيقل رواد الأسواق من النساء، كما أنهن سيتقيدن باللباس المطلوب في ذلك المجتمع، بل سيعملن جهدهن في يومهن ذلك، وبجهد متواصل على تحقيق ذلك الهدف، المنشود، والتباهي بسرعة الإستجابة، وبادرة التقيد بالأوامر الصادرة: تزلفاً وقربة، أو خوفاً من جزاء يطبق.

فإذا كانت هذه نظرة البشر إلى من يلمسون منهم العقاب والجزاء العاجل، فهل فكرت المرأة في المجتمع الإسلامي بما صدر من تعليمات سماوية، وما جاء من تأكيدات ربانية، وردت على لسان رسول الله ﷺ في حث المرأة بأن تكون أماً عارفة، وزوجة صالحة، وعضواً فعالاً في المجتمع، وهي بلا شك أكبر من كل محسوس في حياتها. وهل دار في خلدها أن كل فرد منا في هذه الحياة تحصى عليه حركاته وسكناته، كما قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1] .

وهل وضعت المرأة في حسبانها أن أمر الله أقوى من أوامر البشر، وأن عقابه أشد وأنكى من تهديدات القادة، وولاة الأمر في هذه الحياة.

---

(١) سورة ق آية ١٨

ثم هل عملت مقارنة دقيقة حول ما يقدمه الفرد من أعذار أو كذب، وخداع أو نفاق لتحقيق مصلحة دنيوية، أو لصرف عقاب مفروض، مع التأكيد بأن ما ينطلي على البشر من هذا، لايجوز على الله جلت قدرته، ذلك أن الأعمال كلها محصاة والتصرفات مقيدة كما قال سبحانه: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٢] ، لتعرف من ذلك ماذا يجب عليها ؟

وهنا أقول لأختي المسلمة في كل مكان: إن إنسياق المرأة خلف التيار المبتعد عن منهج الله، الذي ارتضاه لها، بما أبانه في كتابه الكريم، وبما جاء على لسان رسوله ﷺ ، بالدرب الواضح، والشخصية المميزة للمرأة المسلمة في بيتها وأسرتها، وفي مجتمعها وعملها، أمر يحتاج إلى مراجعة للنفس ومحاسبة للأحاسيس.

ذلك أن سير المرأة في عادات وتقاليد بعيدة عن دينها

(١) سورة الكهف آية ٤٩

(٢) سورة النحل آية ١١٨

ومجتمعها وبيئتها، بحجة التقدم والحضارة، وبدعوى المدنية والإرتقاء، أو المحاكاة في غير روية.

كل هذا لايعفيها من المساءلة أمام خالقها عما ضاع من تفريط، وما تركته من التزامات تتباين مع عقيدة ومنهج الإسلام، الذي رسمه للمرأة، وما يجب أن تسير عليه في نفسها وتصرفاتها، وفي تأدية ما أنيط بها من مسئولية.

فماذا أعدّت المرأة لهذا السؤال؟؟

وماذا هيأت من إجابة؟؟

إن الإسلام لا يقف حائلاً دون الزينة التي تتوق إليها المرأة، لكنه يمنع التبرج، كما أنه لايقيد المرأة بلباس معين، لكنه يدعو للإحتشام فيما هو مباح وساتر، ولايمنع المرأة من المشاركة بطلب المعيشة، لكنه يمقت الإختلاط والإبتذال والخضوع بالقول، حيث تقع الريبة، ويطمع الذي في قلبه مرض.

ولا يحول بين المرأة والأخذ بأسباب الجمال، لكنه يفيد ذلك بألايكون مصطنعاً يغير خلق الله، حيث لعن رسول الله ﷺ: «الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن،

المغيرات لخلق الله » أخرجه النسائي[١] .

ومع هذا فالإسلام بتعاليمه السمحة التي رفعت مكانة المرأة، يمنعها من إظهار الزينة في لباس أوحلي لغير المحارم الشرعيين، ويضع في هذا منهجاً قوياً، وقاعدة ترسم معالم الطريق الصحيح لراغبه في مثل قوله تعالى: ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعاً أيهَ المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[٢] ولايمكن معرفة هذه الحقيقة إلا بالعلم النافع، الذي أمر الله به، وفي مقدمته العلم بكتاب الله وسنة نبيه، لأن بهما سعادة الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر جامع الأصول ج ٤ ص ٧٨٠ وقال رواه البخاري أيضاً.

(٢) سورة النور آية ٣١.

فمن هذه الآداب القرآنية، والصفة السلوكية التي ارتضاها الله للمرأة، جاء منع الإختلاط بين الجنسين في المدرسة والعمل، وفي الجامعة، أو المتجر، وغير ذلك من الطرق التي تدعو إلى الفتنة.

فتعاليم الإسلام يجب أن تكون راسخة في القلوب، وهي للمرأة فيما هو من خصائصها آكد والزم، حيث تجعل ذلك نبراساً تهتدي به، وعقيدة تسترشد بها، وزاجراً يمنعها من التجاوز والإنسياق.

ومن المهم أن تحرص كل امرأة في المجتمع الإسلامي بأن تكون مؤمنة بخالقها، ملبية لأوامر دينها، متمثلة بمبادئه وتشريعاته سلوكاً ومنهج حياة، فتسترشد بالأمر التوجيهي كأنها المعنية به، وتبتعد عن النهي كأنها المزجورة عنه، لتكون هذه الأوامر، وتلك الزواجر، أقوى نفوذاً وأمكن رسوخاً في وجدانها من أوامر البشر وتعليماتهم، وأن يكون خوفها من الله وأليم عقابه أثبت من خوفها من أي نظام دنيوي ذلك أن المرأة عرفت في علم الإدارة بالإنضباط والحرص.

فالمرأة المسلمة متى وعت هذا وعقلته، فإنها بذلك تصلح في نفسها، لأنها ستحرص على التطبيق، وتصلح مجتمعها

لأنها تهتم بالتنفيذ والدعوة إلى الإقتداء والعمل.

ومن القدوة الصالحة ينبني المجتمع القوي، الذي دعامته الإمتثال لأمر الله، ونشدان الحقيقة، والطواعية في العمل.

والمجتمع الإسلامي لايشتد ساعده، ولاتقوى ركائزه، إذا لم يطبق نصفه، عن طواعية وقناعة، وعلم ودراية ما يلقى عليه من أوامر، ويرتدع عما ينهى عنه من زواجر، ثم يتعاون النصفان في بناء ذلك المجتمع مشاركة وتفاعلاً.

فالمرأة في المجتمع الإسلامي تمثل النصف القوي في مسئولية الإعداد والبناء، فهي التي تنتج الأبناء، وتربي الأولاد، ولكلامها الأول دور الرسوخ في عقولهم، ولذا جاءت مخاطبة القرآن الكريم لها مع الرجل على قدر المساواة في الأمر والنهي، وفي الأجر والثواب وفي الوعد والوعيد، وفي مواقف كثيرة، ومناسبات متعددة، وانفرد كل منهما بما هو من خصوصياته قال تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة

وأجراً عظيما﴾[١] .

فما على المرأة إلا أن تعرف مكانتها العظيمة التي بوأها الإسلام إياها، لتحتفظ بدورها الكبير، ومركزها القيادي متمثلة بأمر الله في نصوص شرعه، ومقتدية بنساء الرعيل الأول اللواتي فهمن ما تعنيه هذه النصوص، وانقدن في العمل والتطبيق، فكان لهن دور قيادي كبير ني التوجيه والتعليم، ولن يكون دور المرأة المسلمة في حاضرها بأقل من ماضيها ما دامت مسترشدة بمصدري التشريع في الإسلام كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ، وصادرة عما صدرا عنه، ومنتهية عما نهيا عنه، وبذا تقوى مكانتها، وتكبر في أعين الآخرين، لأن من احترم دينه احترم، ومن امتثل به قدّر وهيب جانبه.

وإذا كان سفيان الثوري رحمه الله عندما جاء الحديث عن أناس لهم دور في الإجتهاد والعلم يقول: هم رجال ونحن رجال، أخذوا بعلم يجب أن نأخذ به، ونستعمل عقولنا فيما أمرنا الله. فإن المرأة في كل زمان ومكان يجب أن تقتدى بمثل هذا القول وتستنير به لتقول عن القدوة الصالحة من النساء

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٥.

العارفات بواجبهن ودينهن: هن نساء ونحن نساء. أخذن بعلم يجب أن نأخذ به، وأن نستعمل عقولنا وإدراكنا فيما أمرنا الله به.

التفكك الأسري

خبر صغير قرأته في صحيفة الشرق الأوسط ينطوي تحته أشياء كثيرة، فتحت عنوان: لاتقرأ هذا الخبر قال: دام الخلاف بين الشقيق وشقيقته سنوات طويلة، وقاطع كل منهما الآخر إلي أن اكتشفا أن أمهما ماتت قبل عام دون أن يعلم بحالتها أحد، حدث هذا في ولاية مينسونا الأميركية حيث يقيم روبرت هانسون وشقيقته كارول في بلدة دولوث، كان روبرت يتصور أن الأم عند كارول وتصورت كارول أن الأم عند شقيقها روبرت، لكن الأم التي توفيت عن عمر يناهز الثمانين عاماً كانت قد ماتت داخل شقتها هي، وبقيت جثتها هناك تتحلل وتتعفن مدة عام كامل (السبت ١٩/٥/١٤٠٦هـ).

هذا الخبر كان موضع حوار ونقاش عما آلت إليه الحضارة الغربية، حيث اعتبروا المادة هي كل شيء، فضاعت الأعراف والقيم، ونسي القريب قريبه، وتفككت المجتمعات.

وقد دخلت في حديث مع شاب مسلم درس في أمريكا، وعاش فيها فترة من حياته وزمناً من عمره، ورأي حالات كثيرة من واقع الناس هناك، قوت عنده مكانة الإسلام وتعاليمه في بناء المجتمع، وتماسك بنيته، حيث قال: قد أتهم بالتحيز إذا أبنت عن نظرة الإسلام للمرأة، أو أسهبت في الدفاع عن حقوقها كما رسمها الإسلام، وجعلها رمزاً للامتثال، لأن لها دوراً في تماسك المجتمع، وترابط الأسرة.

ذلك الدين الذي أعطى للمرأة ثقلاً لم تكن البشرية تعرف مثله، ومكانة لم تكن لترنوا الأفئدة لنظائرها.

فقد جاء الإسلام ليجتث جذور الجاهلية التي تئد البنات خوفاً من العار، وليقضى على حضارة الرومان، أولئك القوم الذين ينظرون للمرأة بمنظار المادية، ويعتبرونها كقطعة من أثاث تباع وتشترى وتورث بعد الوفاة، وتوهب ولا حول لها ولا طول وليهدم دولة الفرس التي لايقيم أفرادها للمرأة وزناً، ويعتبرونها ملهاة للقادة، متعة للوجهاء، بالغناء والرقص.

هذا الدين هو الذي رفع مكانة المرأة، وأعلا منزلتها في الأحكام والحقوق، وفي البناء والعمل في مثل هذا القول الكريم: ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن

درجة﴾[١] . ثم يردف هذا الشاب قائلاً: إن إبانة حقوق المرأة في الإسلام، وتوضيح مكانتها التي أرادها لها هذا الدين، أمر لايقبل المراء والجدل، ولايحتاج إلى مرافعة أو دفاع فقد شاهدت في حياتي صوراً من الواقع تعبر عن تبرم النساء والرجال من الحالة المتردية في بلاد الغرب، من التفكك الأسري، والإنفصام العائلي الذي أعاده المفكرون منهم، إلي خلو مجتمعهم من قاعدة صلبة، تعيد أفراده إلى ما ينفعهم، كما هو الحال في تعاليم الإسلام.

فهم يرون أن المرأة أعطيت حريتها، وأخذت من الحضارة بما يريحها ،وغفلوا عن شيء واحد وهو ضياعها، وخلو ذهنها مما يربطها بمكانتها في المجتمع، ودورها الإيجابي فيه، فلذا ضاعت أو أضاعت، كما حصل في خبر جريدة الشرق الأوسط هذا ومثيله ما سوف أنقله هنا وهو قليل من كثير من واقع الناس في بلاد الغرب.

ولكن الذي أستطيع إبانته هنا جانباً واحداً من الجوانب العديدة التي حفلت بها تعاليم الإسلام، والتي تجعل أفراده قوة

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨.

مترابطة في الإخاء والتآلف الأسري، ذلك هو البر الذي محوره الأم، والعطف الذي تنميه هذه الأم في أولادها منذ نعومة أظفارهم.

هذا الجانب يبرز أمامي في قصة من الواقع، وأنموذج من الحياة، والناس عادتهم لا يقتنعون إلا بما يتراءى أمامهم كياناً ماثلاً، وشيئاً محسوساً - والحديث لايزال لهذا الشاب المسلم الذي عاش في بلاد الغرب.

فلقد كنت أسكن في إحدى الولايات الأمريكية أثناء دراستي، وكانت تجاورني في بناية السكن امرأة تجاوزت الستين أو كادت، تعيش بمفردها، ولا أرى لها عملاً تذهب إليه فخلتها متقاعدة مقطوعة الصلة.

وفي أحد الأيام كعادتي، كنت عائداً من جامعتي بعد يوم دراسي حافل، وما كدت أقترب من باب شقتي، حتى رأيت العجوز تسقط على الأرض بلا وعي أو حراك، ولم يكن ذلك بفعل جانٍ أراه، أو معتد له مآرب.

ففكرت ملياً، هل أعمل شيئاً من أجلها أفأغلب الجانب العاطفي في وجداني، ذلك الشعور الذي بدأ يخف ميزانه في نفسي منذ وطأت قدماي هذه القارة، وعايشت أهلها، وخبرت

طباعهم.

أم أمضي في سبيلي، وكأنني لا أدري عما يدور حولي، أو حتى أفكر فيما يتحرك أمامي، ما دام الأمر لايعنيني، ولاتربطني به صلة، كما يريدون هم.

وقفت ساهماً برهة، وأخيراً تحرك الجانب الديني في أعطافي، ذلك الإحساس الذي ربانا عليه الإسلام، ورضيه الله لنا منزلة: فلقد دخلت النار امرأة في هرة، ولقد شكر الله عمل رجل وغفر له لأنه سقى كلباً يلهث من العطش، كما جاء في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه إنسانة تجاهد الموت أمامي، فلابد من عمل، ولن أتأخر عن النجدة مهما كلفني ذلك.

فاقتربت منها وحركتها فإذا قلبها لازال به نبض. وأنفاسها تتلاحق متقطعة، فطلبت لها سيارة الإسعاف التي نقلتها لأقرب مستشفى حيث أعطيت علاجاً أعاد إليها الحيوية والنشاط، فأفاقت لترى نفسها في سرير أبيض يحف بها ممرضات وطبيب، وهذا الغريب المسلم الذي هو شخصي.

وبعد أسئلة وإجابات تأكدت من ملامحي، وعرفت سحنة

وجهي بعد أن أجالت الطرف فيمن حولها، لقد وجدتني ذلك الجار الذي تراه أحياناً في مدخل العمارة، وتصادفة على درجات السلم، كلما جمعتهما الصدفة ذهاباً ومجيئاً في الصباح أو المساء فلا معرفة تربطهما مع طول المجاورة، ولاتعارف في الأسماء مع طول مدة المكث.

وكانت دهشتها أكثر، واستغرابها أشد، عندما أشعرها الطبيب عن حالتها الصحية، وأن الواقف أمامها هو الذي رعاها واهتم بها، فلعله واحد من أبنائها، أو ممن تربطها به صلة المودة، أو المنافع المادية أو العمل.

قال هذا لها الطبيب، لأنه يعلم أن من يماثل هذه السيدة، لايهتم بها في الغالب، في مثل هذا المجتمع، إلا من لديه منفعة مالية متبادلة أو مصلحة من المصالح.

ولكن دهشته زادت واستغرابه إتسع، عندما أخبرته بأن هذا الشاب عربي مسلم يجاورها في السكن منذ سنتين ولا تعرف حتى اسمه، بينما هي أمريكية كاثوليكية من أصل أوروبي، ولا ترابط بينهما، ولاتعارف أكثر من هذا.

ثم سألها الطبيب ليضمن حق المستشفى وأتعابه هو، عندما أدرك أنها هي الغريم المطلوب وحده، ولاحق له على هذا

الغريب الذي لم يستوضح منه بعد عن أسباب إقدامه على هذا الصنيع، وما هي الدوافع التي حملته على هذا العمل.

هل لك أولاد؟ وما وضعهم المالي.. والإجتماعي؟

وازدادت الدهشة والإستغراب عندما قالت: إن لي ثلاثة أولاد وبنتين، لكنني لم أرهم منذ خمس سنوات، ولايمدونني من إيراداتهم ولا بسنت واحد.

وكانت الدهشة أكبر عندما أخبرت بعناوينهم وأعمالهم، فإذا واحدة من البنتين في البناية المجاورة لمسكن أمها، وواحد من الأولاد يسكن ويعمل في محله التجاري بنهاية الشارع الذي تسكنه والدته، وإذا الآخر من الأبناء أستاذاً بالجامعة التي يدرس فيها هذا العربي المسلم.

وعند سؤالها عما إذا كانت تحمل تأميناً صحياً كما هي العادة في تلك البلاد - أجابت بالنفي، وأن وضعها المادي مهزوز بعد أن أودعها أولادها الملجأ فخرجت منه بما لديها من رصيد ادخرته، وبدأ في النفاد، وقلت إيرادات ممتلكاتها التي باعتها واحداً إثر واحد.

ثم أخبرت بأن الحالة التي مرت بها صحياً هذا اليوم تمرّ بها

دائماً كلما نقص الدواء الذي تتعاطاه لداء السكر الملازم لها.

لم يخجل الطبيب في هذاالموقف - وهو الرجل الذي عاش في مجتمع لايؤمن إلا بالماديات ولايقيم وزناً لأي إنسان إلا بما يملكه من مال - من مطالبتها بسداد التكاليف المترتبة وشدد الأمر عندما طلبت منه الإمهال ريثما تدبر الأمر، وتجمع ما تبعثر من حطامها.

في هذا الموقف تحركت نخوة هذا المسلم، وجادت أريحيته، لأن جذور الدين الإسلامي تتحرك في المواقف المؤثرة، فهو دين يدعو للرحمة والرفق، ولايحقد على الديانات الأخرى، كما أنه قد تربى في مجتمع يهتم أفراده بتطبيق تعليمات الإسلام قولاً وعملاً كما في مثل هذا النص: «في كل نفس رطبة صدقة» وفي مساعدة عمر لليهودي العجوز من بيت المال فأخرج حافظة نقوده بعد أن تناول قسيمة التكاليف، كتعبير مباشر عن استعداده لتحمل النفقات، وتسديد الحساب بلا موارية أو تردد.

ثم عاد ليصطحب هذه المرأة المسنة فيرعاها في بيتها، ويهتم بشئونها، ويقدم لها ما ينقصها من الدواء والعلاج كما يفعل الأبناء البررة.

اقتطع ذلك من مصروفاته الشهرية، وهو المحتاج إلى كل دولار ينفقه.

وكم كان استغرابه عظيماً، ودهشته مذهلة، عندما استقبل أولادها خبر مرضها بعدم الإكتراث أو الإهتمام، ولم يعبروا عن مودتهم لها ولا بكلمات المجاملة والزيارة، بعد أن أجهد نفسه في البحث عنهم، والإستدلال عليهم لإبلاغهم النتيجة.

عاد إلى نفسه، وحمد الله على أن هداه للإسلام بما فيه من قيم ومثاليات، وبما غرسه في أبنائه من أخلاق ودعوة للبر بالوالدين، واهتمام بهما، وتمنى أن تنطوي الأيام لينهى دراسته، ويفارق هذا المجتمع بتفككه وخوائه الفكري والعقدي.

أخبر جارته العجوز بما وجد من أولادها، وكله حسرة تعصر كيانه، وتستولى على مشاعره، لكنها استقبلت الأمر بعدم المبالاة، لأن هذا واقع مجتمعهم، ولأنها لم ترسخ في أذهان أبنائها منذ الصغر الولاء للوالدين، ولاحب البر فيهم.

ثم أردفت قائلة: وأنت ما الذي حملك على هذا العمل الإنساني، هل لأنك كطالب تفكر في النجاح، أم أنك تعمل في جمعية خيرية تعطيك أجراً على هذا العمل؟؟ أم ماذا؟؟

فقال: لا هذا ولا ذاك. ولكنها تعاليم ديني، ومبدأ عقيدتي.

ثم بدأ يشرح لها عن مكانة المرأة في الإسلام منذ الولادة، إلى أن تصبح أماً ترعى جيلاً، وتبني مجتمعاً، وإلى أن تبلغ منزلة من الكبر، فيهتم بها الأبناء والأحفاد، البنون والبنات على السواء.

وشرح لها حق الأم على أبنائها، وحقوق الجار في الإسلام، والإهتمام بشئونه، عندها قالت: لم أسمع بمثل هذا الدين، وإنني لفي شوق إليه، حبذا لو أبنته للناس لعلهم يستنيرون منه، لأن في تعاليمه أشياء كثيرة تنقصهم.

ثم بكت، وقالت: من أجل هذا عشتم متحابين متآلفين، أما نحن فيبغض بعضنا بعضاً، مهما كانت القرابة، ولاروابط تجمعنا إلا المصلحة المادية.

وبعد تنهد وحسرة تنبىء عن ألم مكبوت، قالت: هل يمتد عمري لكل أرى المجتمع الأمريكي وقد ارتدى هذا اللباس الذي يضفيه دينكم على مجتمعه أو تزيّ بحلية الإسلام، ليتبدل في نظرته للحياة، واهتمامه بالمجتمع والأسرة والأفراد، وخاصة كبار السن أمثالي الذين يزهد فيهم أولادهم.

تأثر هذا الشاب بما سمع منها، وقال: أرجو أن يعرف هذا أبناء بلادي، وإخواني في العقيدة الإسلامية في كل مكان، وأن تهتم بذلك الأمهات فيكون فيهن خلقاً، ولسجاياهن طبعاً، حتى يرضعنه أولادهن، لتنمو عليه مداركهم وأجسامهم، ومتى نمت الروح في الأطفال كسجية وخلق، فإنها سوف تتأصل إن شاء الله مع الزمن، فيسعد المجتمع، ويتحاب أفراده، وتصير تعاليم الإسلام، وما تدعو إليه من خير ومحبة طبعاً في أعمال هؤلاء الأفراد، من حيث البر والصلة والتعاطف والتراحم.

أما إذا تهاونا في أمر ديننا، وما تدعو إليه تعاليمه، فإننا سنصبح مثلهم ينالنا ما ينالهم، ونتألم مثلما يتألمون بعد أن ضاع منا الرجاء من الله.

من أخبار التفكك عندهم:

آخر خبر قرأته بعدما دونت هذه الأسطر، مدعوماً بالصورة نشرته مجلة العربي الكويتية في عددها ٣٣٧ لشهر ديسمبر ١٩٨٦م ومما جاء فيه: قالت السيدة ماري آرمسترونج عشت في أميركا ٦٥ عاماً، ثم اكتشفت أنني لاأحب هذا البلد؟

لقد هاجرت إليها من بريطانيا عندما كنت شابة في مقتبل العمر، وأصبحت أماً وجدة لأكثر من ثلاثين إبناً وحفيداً، أبنائي تزوجوا ورحلوا جميعاً عنى وبدأت أعاني من الوحدة التي تركني فيها زوجي بعد رحيله، ثم جاء اليوم الذي كان لابد أن أرحل فيه بدوري، ولكن إلى بيت العجائز الذي قرر أبنائي أن يحملوني إليه، إن أحداً منهم لم يتذكر يوماً في أن يأتي لزيارتي، ولم أعد أراهم، عندئذ قررت أن أعود إلى بلدي، فأنا لست عجوزاً كما ترى.

وهذا نموذج من التفكك الأسري والإجتماعي لديهم؟؟ نسأل الله السلامة وحماية المجتمع الإسلامي من القدوة والمحاكاة.

من حكم حاجة المرأة للمحرم:

تقتضي حاجات الناس ومشاغلهم الإنتقال من مكان لآخر، وفي بعض الأحيان يجد الإنسان نفسه في حاجة لطرح بعض المواقف التي تمر به، أو محاورة من يلاقي تزجية للوقت، وطمعاً في الإستفادة والإفادة.

فمنذ سنوات كنت في رحلة من مكان إلى مكان آخر، وفي

أحد المطارات في بلد إسلامي رأيت نساء - كالعادة - بمفردهن مختلفات الأعمار، يتأبطن متاع السفر وعدته، وينتظر دورهن في الرحيل لشتى أنحاء المعمورة، ومن بينهن من يرغبن الذهاب إلى مكة المكرمة للحج، وقد جاء الأهل والأقارب لوداعهن.

ولأن سفر النساء بدون محارم عادة جديدة دخلت على المسلمين مع التهاون بأوامر رسول الله ﷺ لضعف العلم، فهي مشكلة إجتماعية تتباين مع تعاليم الإسلام، وقد وجدت في نفسي رغبة للدخول في حديث وحوار حول هذه النقطة التي أصبحت لدى بعض المسلمين المتأثرين بالغرب والأمم الأخرى، كحاجة عادية في تصرفاتهم، أو عادة من العادات المسلم بها.

بل إن الأغرب من ذلك أن يكون من المثقفين المسلمين من بدأ يستغرب فكرة المحرم الشرعي، ومصاحبته للمرأة في السفر، ويعبرون عن هذه الدلالة بالتخلف والجمود لدى من يتمسك به أو يدعو إليه.

وكما هي عادة المسافر المنتظر، تبدو لديه الرغبة في تمضية الوقت بالحديث والمداولة، لقطع مسافات الزمن من جهة، ومن أخرى فلعل كلمة تجدي أو نقاشاً ينفع الله به.

فالتفت إلى من يجاورني في المقعد، وكانت تبدو عليه سيماء الوقار والأدب، وتبرز علامات التدين والإلتزام على محياه، فقلت له بعد السلام والتحية: إن العالم الإسلامي قد ابتلي بمشكلات كثيرة، جاءت وافدة علي شريعة أبنائه الدينية، ومؤثرة في طباع الأفراد، وعادات المجتمع، وقد حرص أعداء الإسلام على زرعها فكرياً وعقدياً، طوال فترة النوم العميق التي عاشته الأمة الإسلامية، وساعد على نموها ما بليت به المجتمعات الإسلامية من جهل وغفلة في أمور الدين.

ثم رسخت هذه الأشياء كتعبير عن الإحتذاء الحضاري، بعد أن أصل جذورها المستعمر فترة هيمنته على كثير من ديار الإسلام، ذلك العدو الذي كان يستهدف الدين قبل كل شيء.

فقد غرس في أفئدة الطلائع الأولى، والمتعلمة من أبناء المسلمين، ما يتفاعل مع مآربه ويرضى نزعات مفكريه، فأخذوا تلك الأمور كتعبير عن تقليد في المبدأ، وقناعة بالمظهر، وهذا مظهر من مظاهر الإستعمار الفكري بعد أن انتهى الإستعمار العسكري.

فرد علي بهدوء ووقار بأن الموضوع طويل وشيق في آن واحد، وحبذا لو ركزت على نقطة واحدة، نغزوا منها للمجتمع

الإسلامي، للتغلغل في طباع أهله، وإقناعهم بالتخلي عن تعاليم دينهم فيها، ولكي نناقش الفكرة، ونتداول الرأي، ونحاول أن يخرج نقاشنا بحل مفيد، ثم ننتقل لأخرى وهكذا دواليك، ريثما ينتهي وقت إنتظارنا ويسافر كل منا لوجهته؟!

قلت: وجهة نظر سليمة، فدعنا نبدأ بما نراه ماثلاً أمامنا.. فما هذه الأعداد الكبيرة من النساء المسافرات إلا نموذج يحسن بحثه، وعادة يجدر عدم ظهرورها بمثل هذه الصورة في بلاد الإسلام.

قال: وماذا في الأمر نساء مسافرات لأغراض شتى، أحوجتهن لذلك شئون الحياة، بل إن بعضهن في سفر تعبديّ، ومشقة دينية؛ يذهبن كما يذهب غيرهن، ويعدن كما يعودون، بدون نصب أو تعب، لأن عناء السفر قد خفّ ومخاطره قد كادت تزول، لأننا في عصر السرعة والرفاهية، مع هذه المواصلات السريعة والمريحة.

قلت: ليس عن هذا تحدثت، ولا لهذه الوجهة أردت؟

قال: إذاً أبن عما تريد، وأفصح عما يدور بخلدك.

قلت: لاتنسى أننا معشر المسلمين لنا مصدر نستمد منه،

ومشرب ترنوا إليه أفئدتنا، فيجب أن نصدر عن ذلك المورد، الذي هو الإسلام مصدر عزنا، ومطمح أفئدتنا، ذلك الدين الذي هذب طباعنا وقوم أخلاقنا، وربى عقولنا.

فمن مصدر تشريعه نستقي ومن ينبوع تعاليمه نرتوي، ومن معينه نستمد طاقاتنا الفكرية والعقدية والعلمية والإجتماعية، ومتى تركنا ذلك أو تهاونا فيه، ضعنا في متاهات الحياة.

ألم يقل رسول الله ﷺ «ما تركت على أمتي أشد فتنة من النساء» ثم أخبرنا بأن النساء من الفتنة التي سلطت على بني إسرائيل، فهلكت بسببها.

وأنت يا أخي عندما تنظر إلى هذه الأفواج المسافرة، والغادية والرائحة، تجد أغلبهن من الشابات اللواتي لايصاحبهن محارم، والإسلام يمنع المرأة من السفر بمفردها، أو من الاختلاط بالرجال سواء كانت كبيرة أو شابة، وذلك من أجل درء الخطر، والخوف من المفاسد.

قال: عند هذه النقطة سوف أحاورك،وأطالبك بالإستدلال الشرعي والبرهان العقلي، فمن الدليل الشرعي نقف على النص، والنظرية القانونية تقول: لا اجتهاد مع نص.

أما البرهان العقلي فهو ما يتلائم مع مدارك الناس ومفاهيمهم فيما لايتعارض مع النص، ذلك أن الناس لايقتنعون إلاّ بما يطمئنون إليه، والمفهوم العام أن النفوس تغيرت، والأخلاق تهذبت مع الثقافة والتعليم، وقد يكون ما أردت بحثه، أو التحدث فيه، مفهوم يحكم عليه بعضهم بأن الزمن قد عفى عليه، ومدلول يراه آخرون بأن تطورات الحياة قد غيرته؟؟!!

قلت: إنك تجمع بين أمرين: جدّية الباحث المسترشد، ورغبة المقلد الذي لم يتعد فيما يملك من عدة وعتاد.

ومن هنا فإنني أشبهك بالجندي الذي يتقابل مع عدوه، ثم يتراجع في أثناء المعركة موهماً نفسه بأن هذا العدو أقدر منه، لأنه يقاتله بنفس السلاح الذي استجلب من بلده أو بلاد أصدقائه، فلا بد أنه يتفوق عليه بالتوعية والتدريب والجودة، لقد نسي هذاالجندي أن الذي يقاتل إنما هي نفسية الجندي، وقوة إرادته، وأن الذي يدفعه إيمانه وشعوره العقيدي، وأن السلاح لايعدو أن يكون أداة معينة، وسبباً من الأسباب قال تعالى: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال آية ١٧

ولكن مع هذا دعنا نتحدث لعلنا نصل سوياً إلى هدف، ونقترب من نتيجة، مع أنها واضحة في نظر الإسلام، ولاتحتاج إلى مداولة.

فمن الإستدلال الشرعي قول رسول الله ﷺ ، وهو العارف بما يصلح الأمة في دينها ودنياها، حتى آخر الزمان: «لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسافة يوم وليلة إلا مع ذي محرم» متفق عليه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يخطب يقول: «لايخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولاتسافر المرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال يارسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال: انطلق وحج مع امرأتك» رواه البخاري ومسلم.

والقرآن الكريم حدد المحارم في سورتي النساء والنور.

ثم إن منطوق الحديث الذي قال: «لايحل لامرأة تؤمن بالله» فنفي الحلال عن جنس النساء عموماً، ولم يقيد، ثم قرن هذا الحل بالإيمان بالله واليوم الآخر الذي هو العلاقة الوجدانية بالله الخالق رباً، وبما ادخره من جزاء أو عقاب.

ويفهم من تقييد هذا العمل بالإيمان الدلالة على أن المرأة

التي تسافر بدون محرم: فهي إما ناقصة الإيمان إذا كانت مدركة الحكم، أو للجهل به مع العلم أن الشرائع لاتسقط بالجهل - حيث أمر المسلم بالسؤال والمتابعة أخذاً من قول الله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾.

أما إذا كانت عالمة بالحكم، لكنها متجاهلة للأمر هي أو ولى أمرها، فإنهما والحالة هذه نخشي عليهما من انتفاء الإيمان، لأن في هذا معصية للحكم الشرعي بجحوده وإنكاره.

ثم لاتنسى ياأخي أن سفر المرأة بمفردها مسافة القصر[١] ، وهي التي حددت في العصر الحاضر بما يقرب من ٨٠ كم «كيلاً» مدعاة لانفرادها بالرجال ومخالطتهم عن قصد أو غير قصد، والتحدث إليهم في مقعد الطائرة أو القطار، في المحطة ومكان الإنتظار، في الإستيضاح عن أشياء تجهلها لأنها مضطرة لتسيير أمورها بنفسها، والرسول ﷺ يقول: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما» من حديث رواه أحمد عن جابر بن عبد الله، كما نهى الرجل أن يتحدث إلى امرأة غريبة عنه، قيل: أرأيت الحمو يارسول الله - وهو أخو الزوج

---

(١) جاء في رواية الطبراني في حديث ابن عباس السابق ما نصه: «ولاتسافر المرأة ثلاثة أميال إلا مع زوج أو ذي محرم».

وأخت الزوجة فقال ﷺ : «الحمو الموت».

ذلك أن الشيطان كما نعرف شرعاً «يجري من ابن آدم مجرى الدم» وهو حريص على إضلال البشر لأن هذه مهمته في الحياة، والتي أخذها على نفسه منذ أن أضله الله عن الإستجابه لأمره في بدء تكوين الخليقة على الأرض، وسكناها بالبشر فاستكبر عن السجود لآدم. وكلمة إضافية أنقلها إليك رويت عن الإمام سعيد بن المسيب الذي يسميه بعضهم إمام التابعين رحمه الله، ذلك الرجل الذي روى عنه بأنه جلس في مسجد رسول الله ﷺ أربعين سنة لم ير خلالها ظهر مصلٍ قط، لأنه الأول دائماً، كما أنه لم يؤذن لصلاة في أوقاتها الخمسة إلا كان سعيد قد سبق إلى المسجد، هذا الرجل العابد التقي يقول: «لو ائتمنوني على قنطار ذهب لوجدت نفسي أميناً عليه، ولو ائتمنوني علي جارية سوداء لوجدت نفسي غير أمين عليها».

فهذا جزء من الدليل الشرعي الذي تطالب به، أما العقلي: فإن أردته من الشرق أو الغرب فهو أكثر من أن نحصره بحديث، أو نقيده بجلسة كهذه، ولعل أبلغ شاهد في هذا ينبئ عما يختلج في نفوس الرجال، ويعبر عما يجول في أفئدتهم بما

نحن في صدده هو قول شوقي: نظرة فابتسامة فموعد فلقاء. فهل تأتي النظرة العميقة ذات المدلول والمغزى، والتي تجلب الإبتسامة التي تدل على الرضا، والإستسلام السريع، ثم يتبعها الموعد واللقاء مع وجود المحارم؟؟ ولذا قال الشوكاني في نيل الأوطار فإن أجد قولي الشافعي وأحمد والهارويه: يحرم على المرأة نظر الرجل.. كما يحرم على الرجل نظر المرأة[1] .

إن المحرم الشرعي فرض في الإسلام من أجل حماية المرأة، والدفاع عنها لأسباب منها:

- أن المرأة ضعيفة التحمل والمدافعة سواء عن نفسها أو عما تملكه، لأن الله جملها بالحياء، وصانها بالعفة.

- أن شئون السفر يترتب عليها المشقة في الغالب، وتعطل وسيلة السفر، أو التعرض للأخطار، إما من الوسيلة أو من الطريق أو من البشر.

- أن المرأة مطمع للرجال، ولذا كانت عرضة لحوادث متعددة، ولم نسمع أن رجلاً كان في يوم من الأيام عرضة

---

(١) نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٤٨

للإعتداء عليه من النساء، لأن عنصر الشر في الرجل أقوى مما هو لدى المرأة، وحب الاعتداء والاستعلاء لديه أمكن مما لديها.

- أن المرأة عرضة للضعف أو الأمراض أكثر من الرجل من جراء الحمل والولادة والعادة الشهرية، وجسمها أقل تحملاً.

- أن المرأة عاطفية بطبعها التكويني، وقد تستجيب من باب الرد لجميل أسدى لها أو معروف ومساعدة قدما إليها، وقد يكون هذا المسدي ممن لادين يحجزه، ولاخلاق له فلا يرضيه بعد التمادي في المعروف إلا أصعب الأمور وأشدها.

- قال النووي شارح صحيح مسلم: المرأة أشد شهوة من الرجل وأقل عقلاً فتسارع إليها الفتنة أكثر من الرجل[١] .

هذه الأشياك وغيرها قد تزداد مع السفر، بل قد يعرض بعضها أثناءه، ولذا فإن المرأة تصبح عرضة للتكشف، أو للإساءة إليها وجرح حيائها الذي جملها الله بها.

لهذه الأشياء مجتمعة أو لواحدة منها نرى أن الإسلام في

---

(١) نيل الأوطار ج٦ ص ٢٤٨

نظرته الشاملة يهدف إلى تنمية الخلق، وتنشئة الأمة، بعكس ما يتصوره بعض الناس من أن في هذا مشقة اجتماعية، وتكليفاً على المرأة بضرورة مصاحبة المحرم في ذهابها وإيابها، إننا عندما نتعمق في المجتمعات غير الإسلامية نرى فيها:

- انهياراً خلقياً وتفككا أسرياً وتنافراً بين الأفراد.. وانفصاماً في الحياة الزوجية وخواءً فكرياً.. مع عدم غيرة على المحارم.

وأغلب أسباب ذلك يعود للمرأة التي أصبحت خالية من العقيدة والتعاليم الشرعية، وأهملها الرجل في التوجيه والتعليم لإنشغاله بنفسه ومادته، فدفعها ذلك إلى الانسياق خلف رغباتها، وأن يطمع فيها كل ناعق.. فنشأ عن ذلك أجيال بوهيمية في تصرفاتها، لأنها فقدت الرعاية والتوجيه وقت التفتح والنضج.

فهل تريد للمجتمع الإسلامي أن ينحدر في أخلاقياته وعاداته إلى مثل تلك المجتمعات، وهو الذي تحكمه قيم، ويستمد توجيهاته من مصدر سماوي.

قال: لقد لمست من كثرة أسفاري وبإحساسي العميق ما وقع فيه العالم، وما يحكمهم من أهواء، وما انحدرت إليه

المجتمعات بسبب المرأة، وهذا ما يجعلني أوافقك في ضرورة البحث عن مخرج حتى لانقع فيما وقعوا فيه، لكن كيف الخلاص مما انساق إليه بعض المسلمين تقليداً. وهل نستطيع إعادة المرأة في مثل هذه الحالة إلى تفهم الإسلام، والتقيد بتعاليمه.. بعد أن تشبعت ببعض الفكر البعيدة عن منهجه، وأخذت على طباع استمرأت التخلق بها، وتعودت السفر بالطائرة أو القطار وشتى وسائل النقل بدون محرم، وقد تدفع إلى السكن في المخيمات والفنادق في رحلات مختلفة.. تنظمها الجامعة أو المدرسة، خاصة إذا أقامت في بلاد غير إسلامية وتعلمت فيها، فإنها تصبح متأثرة بأعمال وتصرفات أهلها مصداقاً للحديث الشريف: حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

قلت: لاتستصعب الأمر، ولاتتجسم أمامك أهوال التطبيق، فالناس بحمد الله لايزالون بخير، ورسول الله ﷺ يقول كما ورد في صحيح مسلم: «من قال هلك الناس فهو أهلكهم».

فالنفوس قد تشبعت بتعاليم الإسلام، وعرف الناس محاسنه في إصلاح الفرد والجماعة ومن السهل الميسر تطبيق تعاليمه بالتوجيه الحسن، والقدوة الصالحة، حيث يسهل أيضاً التنفيذ.

فما تتحدث مع أي رجل أو امرأة – ما عدا النزر اليسير –

عودة المرأة إلى تعاليم دينها، تطبيقاً وعملاً، وفق فطرتها التي فطرها الله عليها، وإلى وظيفتها الأساسية في الحياة التزاماً ومنهجاً.

والمرأة نفسها تشعر بذلك، وتعبر عنه قولاً وعملاً عن قناعة نموذج ذلك ما حصل في مصر منذ عدة سنوات[1] عندما اقترح أحد المسئولين إعطاء الموظفة ٥٠٪ من راتبها على أن تتفرغ للبيت ورعاية الأسرة، وتوجيه الأبناء، فلقيت الفكرة استحساناً كبيراً من النساء أنفسهن، حيث نقلت أصداء ذلك الصحف متابعة ومناقشة.

والسفور الإجتماعي في كل بلد إسلامي دليل مادي، ومقنع على الرغبة الأكيدة في الخلاص مما حل بهذا المجتمع، وقناعة أبنائه بخطأ المسيرة، لأنه يخالف المصدر العقدي لدينهم، وهو ما يرتبط به الوجدان.

قال: ما دام هذا الإحساس متوفر في القاعدة لكل أمة، وهم الشعوب فما الذي يمنعهم من قبوله عملاً، وتطبيقه منهجاً، ما دامت لهم حرية التطبيق، واختيار العمل الذي يلائمهم. قلت:

---

(١) كان ذلك في عام ١٩٧٨م ١٣٩٨هـ

معك حق ولكن لاتنسى أن العامل المهم في كل تطبيق هو توفر الهيمنة القيادية، لأنه لابد من دفع ذلك بالخوف من السلطة الحاكمة التي جعلها الله راعية لكل دين، أو بعكس ذلك إذا كانت مفرطة فيه، وترسيخ ذلك ضمن وسيلة الإعلام، مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

والنفوس البشرية تحب الخير نتيجة، لكنها تحب التمرد والإستعلاء عملاً، فإذا لم يردعها الزاجر، أو يشجعها الحافز بغي بعض الناس على بعض حيث يقول الله جل وعلا: ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[١] .

قال: كأنك تريد الدولة الإسلامية التي يرعى قادتها، ويهتم حماتها بتعاليم الإسلام، ويلاحقون تطبيق شرائعه، ويوجهون إليه في المنهج التعليمي والثقافة العامة، والمظاهر الإجتماعية قلت: لم أرد غير ذلك.. ألا ترى ذلك مناسباً، وشيئاً لازماً لحياة الناس توافقني عليه؟؟!!

قال: بلى.. ولكن شط بنا الحديث عما نحن بصدده، وهو سفر النساء بلا محارم.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥١.

قلت: أبداً.. إن حديثنا في صلب موضوعنا.. فإذا وجدت القيادة الإسلامية التي تهتم بتطبيق تعاليم الإسلام وترعاها، كانت المرأة أول من يستجيب، وأول من يمتثل. فما على أولئك القادة إلا أن يصدروه أمراً جاداً، يبلغ للجهات التنفيذية بالمتابعة مع أنه صادر من الله، ومؤكد من رسول الله ﷺ، ومتابع من علماء المسلمين منذ قرون ثم يعطى هذا الأمر أهمية تماثل ما يفرضونه من أنظمة استبدلت في هذا الحق بشرع الله.

ومن ثم فسوف ترى الناس التزموه إيجاباً، والجهات التنفيذية رعته تطبيقاً ومتابعة بأقل جهد، وأيسر متابعة من الأنظمة البشرية المستوردة من يمين وشمال.

ذلك أن المرأة أسرع من الرجل استجابة، وأرغب في المحافظة، وأطوع انضباطاً إذا وجدت من يعينها، وأرق قلباً إذا وجدت من ينير الطريق لها. كما نلمس في نساء المسلمين الأوائل من مهاجرين وأنصار، عندما نستعرض تاريخ حياتهن واهتمامهن بدينهن وتطبيق تعاليمه عندما تعلمن ذلك.

أما إذا أفلت الزمام للمرأة، وتركت بدون رعاية أو توجيه فإنها من أسرع المخلوقات إلى الإنطلاق والإستسلام ولعل هذا من أسباب كونهن أكثر أهل النار كما قال ﷺ: «يامعشر

النساء تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم» وقوله الكريم: «اطلعت في النار فإذا أكثر من فيها الجبابرة والنساء».

ولذا فإن المرأة بطبيعتها وتكوينها الأساسي، محتاجة إلى الرعاية والحماية والتوجيه والتعليم، والإسلام كفل لها ذلك كله، وعندما تسترشد المرأة في عملها بمشورة الرجل الفاهم لدينه، الملتزم لخلقه، وتنطلق في مسيرتها في الحياة وفق شرع الله الذي شرع لعباده فيما يصلح أحوالهم ومعاشهم، فعندها سترتاح نفسها، وتهدأ النوازع في نفسها، وتشعر بأنها تسير مطمئنة: مصونة في ظل المحرم الذي قال فيه ﷺ «لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسافة يوم وليلة إلا مع ذي محرم».

وعندما سمع ذلك رجل قال يارسول الله: إني قد اكتتبت في كذا - غزو الجهاد - وإن امرأتي خرجت للحج، فقال له ﷺ: انطلق وحج مع امرأتك، كما مر بنا.

فتعاليم الإسلام في صيانة المرأة ليست على المرأة وحدها، بل لابد أن يدركها الرجل ويسعى متعاوناً في العمل لأنها لم تكن بأمر اجتهادي يخضع للقبول والرفض، وإنما هو أمر إلزامي يرفع من مكانة المرأة، ويعلي من قدرها، ويحفظها من الآفات

التي قد تطرأ، أو المحن التي تعترض، ويجعل لها مهابة في نفوس الآخرين، ويميز المرأة المسلمة عن غيرها.

ولا أشك أن هذه الظاهرة ستكون أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الإسلام حيث لاحظت اهتمام كثير من أبناء الغرب في هذا العصر، بدأت عندهم نماذج من المحافظة على المرأة في السفر بحيث لايتركها وحدها، وبمخالطة الرجال بحيث يقرن ذلك بمصاحبة الزوج أو الأب أو الأخ، وبالملابس الساترة الطويلة.

وأعود لأذكرك بكلمة قالها أحد المستشرقين: لو طبق المسلمون تعاليم دينهم، ونفذوها عملاً وقدوة، فإن أوروبا ستنقاد للإسلام طواعية.

وما ذلك ياأخي إلا أنهم سئموا ما وقعوا فيه، فهل يعمل كل مسلم ومسلمة من جانبه، ليكون قدوة في نفسه، مثالاً في عمله وفق شرع الله الذي شرع لعباده، ومدافعاً عن هذا بعد فهمه، ليكون في ذلك توضيح لمن لايعلم، ورد علي من يتحدي

وبذلك نفرض وجوداً إسلامياً ميزنا الله به، وأراده الله لخير أمة أخرجت للناس، وبالتخاذل، ننحدر من الخيرية إلى ما هو أقل، إذ الواجب أن ترتقي للأفضل بدلا من هذا الإنحدار.

عندما ينتزع الحياء من المرأة:

الحياء ذلك الجلباب الفضفاض الذي جعله الله سمة من سمات الإسلام يجمل أبناءه، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : «إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء»[١] وجعله خلقاً رفيعاً يلازم أبناءه، ليزينهم ويجملهم، فإذا انتزع من المرء كانت تصرفاته فحشاً ورسول الهدى ينهى عن الفحش، ويحث على الحياء: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»[٢] .

وقد اختص الله الإنسان من بين الكائنات بالحياء، ثم أصبح دليلاً على نبل من يتصف به، وقوة إيمانه، وامتيازه في المجتمع، فلقد مر رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال له الرسول الكريم ﷺ : «دعه فإن الحياء من الإيمان»[٣] .

وقد فضل الله صفوة خلقه محمداً ﷺ بصفات عديدة منها الحياء، فكان أشد حياء من العذراء في خدرها، فلا يتبذل أو يتشدق في كلامه، ولايعنف في معاملاته، ولا يجرح شعور

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ عن زيد بن طلحة بن ركانه مرفوعاً.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك

(٣) أخرجه الجماعة عن عبد الله بن عمر.

متحدث، وكان يحث نساءه ونساء المسلمين على التحلي بلباس الحياء.

فهذا الخلق الذي رباه عليه ربه، حرص عليه الصلاة والسلام على ترسيخه في أذهان أمته قولاً وعملاً، وطريقةً ومنهجاً، فقال في حديث شريف: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١] .

فهذا الحديث أطلق الحياء كصفة مكملة للإيمان للرجل والمرأة، وساوي بين المؤمنين في الاتصاف به، فمن تمسك به عقيدة وحباً في التمسك بأمر الإسلام فقد ارتقى من شعبة الإسلام إلى شعبة الإيمان بالفهم والإدراك والعمل.

لكن كيف نعطي مفهوماً حقيقياً عن هذه الصفة، وكيف يتجمل المرء بهذه الحلية.

ذلك أننا عندما نعتبر الحياء حلية نادرة يتجمل بها الناس، فإنها تعتبر من أغلى الخصال الحميدة التي يتصف بها الإنسان، كما أن أغلى الجواهر هو الذي يندر بين أدوات الزينة

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة.

والتجمل، ويكون له قيمة في العرض والطلب لايقدر عليها إلا نوعيات خاصة، وبجهد متواصل.

فالمرأة التي جعل الله الحرص على التجمل من صفاتها، هي أولى من يحرص على ارتداء هذه الحلية، والإفادة من محاسنها، فالحياء من أغلى ما تتزين به المرأة في مظهرها، ولباسها وحديثها وسائر أحوالها، لأنه سلاح يحميها، وستر يقيها ويرفع من قدرها.

والمرأة المسلمة، وهي التي أراد لها أعداء دينها الابتعاد عن منهج عقيدتها وتعاليم ربها، ليكون عملها مغايراً لما تأمر به تعاليم دينها، قد بدأ الدعاة ينفرونها من هذه الحلية، ويكرهونها في ملازمتها، وأشعروها بطرق متعددة أن الحياء رمز للتخلف والجمود، وأن من يريد التقدم والارتقاء لابد أن يطرحه جانباً.. ويمثل إطراحه التهاون في الأمور التعبدية، مع تقليد نساء الغرب والشرق، ممن لا دين يردعهن ولاتعليمات سماوية يطبقنها.

واصل الدعاة مسيرتهم في المجتمع الإسلامي على مراحل:

- الخطوة الأولى في التخلى عن الحجاب الذي يمثل سمة الوقار والهيبة، والمظهر المميز للمرأة المسلمة، فمكسبهم الأول

في الحرص بإبعاد المرأة المسلمة عن الحشمة والتستر، ذلك الحصن الذي أراده لها الإسلام، كدرع يقيها من المؤثرات، ويحفظها من الوقوع في الزلل، أو تكون متبذلة لكل ناظر، حيث أمرت بالستر وغض البصر، وأمر الرجل بذلك أيضاً.

إن حرص المرأة المسلمة والتزامها يحدث فزعاً في قلوب أعداء الإسلام على اختلاف مللهم، وتجافي نحلهم، فهم يعرفون أن المرأة هي المنفذ لاجتياز السياج القوي من التعاليم التي أحاطها الإسلام به، وحماها بتحصينات من الأوامر والزواجر.

ولاسبيل إلى اجتياز ذلك إلا بعد الحصول على سمة الدخول، ليسهل التحكم في مؤثر القبول في النفوس.

ومفتاح ذلك كله هو المرأة، ولا قدرة لهم عليها، وهي تتبوأ مكانها الرفيع في الإسلام، قدوة وعملاً، وتمسكاً ومحبة.

من هنا نراهم يكثفون جهودهم، ويدلجون في مسيرتهم، من أجل الوصول إلي أحاسيس المرأة، واقتحام حصنها المنيع، وهو الحياء، حيث يرون ضرورة ابتعادها عنه، فكانت أول بادرة تختلج في النفوس هي تحبيذ السفور، والدعوة إلى طرح الحجاب جانباً، وبث ما يدعو إلى أن هذا رمز التقدم والارتقاء، و

تحرير المرأة مما أسموه عبودية الظلام والتخلف، وعصر الحريم الذي ولى.

وهي دعوة جائرة بعيدة عن الواقع والمنطق، فإن التخلف أو الارتقاء يحركهما العقل والإدراك، أما الحجاب فهو جمال لايرد تقدماً ولايدفع إلى التخلف، وهي حجة أرادوا بها النفاذ إلي عقل المرأة وإضعاف ثقافتها الدينية، ومفهومها الحقيقي لأوامر الإسلام.

لقد كان قاسم أمين ومعه زمرة من رجال ونساء في مصر، هم أول من حمل الراية، وقاد الزعامة في إخراج المرأة من حصنها، والدعوة إلى نزع جلباب الحياء والوقار، فماذا جنى المجتمع الإسلامي من هذه الدعوة؟؟

لقد انتزع الحياء من المرأة المسلمة قسراً، وأكرهت على طرح شعار الوقار والحشمة، وقد تمثل عدم الحياء فيما بعد من المرأة في بعض المجتمعات الإسلامية، ضمن حلقات متواصلة، يأخذ بعضها بحجز بعض من الهدم الإجتماعي، والإنحدار التقليدي:

- دفعت المرأة للعمل وكسب المعيشة فزاحمت الرجل في الدوائر الحكومية والشركات والعيادات الطبية: في المكتب

والمصنع، وكانت الصفة الملازمة لذوي الجاه والسمعة، فتاة جميلة تتحكم في مقاليد عمله وترتيب مواعيده.

- ضعفت الرقابة الأسرية وانمحت الهيمنه الأبوية، وقلت الغيرة الدينية والخلقية، مع وجود هذا التقليد الذي لم يعرف في المجتمع الإسلامي من قبل.

- ثم أريد للمرأة على كره منها أن تبتذل جسمها، وتمتهن كرامتها، وذلك بنزع حياء الإيمان والحشمة، فأكرهت على مزاحمة الرجل في الحافلات، وجلس الطالب والطالبة وهما في سن المراهقة على مقعد واحد في الفصل، وعلي منضدة واحدة في المعمل، كل هذا من أجل تجاذب أطراف الحديث في الخلوات وفي حديقة الكلية وفي الشارع بحجة المذاكرة وغيرها.

- حبات ذلك العقد بعدما انفرط، أرجعت الفتاة إلى الجاهلية الأولى في التبرج، وعدم الاحتشام من أجل إثارة الفتنة، وتعرية ما أمر الله بستره.

فسلبت المرأة إرادتها، وجهلت أمور دينها، وأصبحت دمية يتلهى بها الرجل بل بضاعة مبتذلة، بعد أن فقدت قيمتها التي ارتضاها الله، بتعاليم دينها الواضحة التي تحفظ لها حقوقها

ومكانتها.

وقد أعانت هي ذلك التخطيط بالانحدار إلى ما يريده الأعداء دون عقل أو روية.

- فقبلت اللباس الضيق والقصير الذي يعري أجزاء من جسمها وهي التي أمرت في شرع الإسلام بالستر والمحافظة، وذلك بحجة الإقتصاد والتوفير، بينما الرجل يرتدي لباساً فضفاضاً يغطي سائر جسمه.

- وارتدت ما يبرز تفاصيل جسمها، ويثير مفاتنها بدعوى الأناقة والذوق، بينما الرجل بقي محتفظاً بلباسه التقليدي منذ قرون.

- نظمت لها المسابقات المتعددة بجمال الوجه، وأناقة الساقين والقدمين، ورشاقة القوام ودقة الخصر، وغير ذلك من المسابقات العديدة التي تطرخها الصحف على الملأ، وبصور مثيرة، ورضيت بذلك لأنه يرضي نزعة في نفسها، ويغطي غروراً ضعيفاً في طباعها وهو حب التباهي والظهور، ونسيت أن الرجل الذي نظم ذلك أراد التلهى والمتعة، مع الطمع في المكسب الوفير.

- لقد أراد اليهود بأعمالهم الكثيرة في الصحف ووسائل الإعلام وغيرها امتهان المرأة وجعلها العوية في أيديهم وطعماً يصطادون به، وذلك بإسقاط مكانة المرأة، وامتهان كرامتها التي رفعتها التعاليم السماوية، وفي مقدمتها الإسلام الذي أمرها بالحجاب والستر والحشمة والوقار.

لقد قبلت المرأة في بلاد الغرب أموراً كثيرة دفعت إليها دفعاً، بحيث تعاون عليها المجتمع بتعاليمه وجشع بعض رجاله، لقصورها وقلة إدراكها من جانب، ولأنها لم تجد من يقف معها في الميدان، وينقذها من آثار ذلك، ويبصرها بعواقبه، ولأن التربية والتعليم قد جعلنا فؤادها خالياً من الفهم، وعقلها خاوياً من الإدراك مما يجب أن تسير فيه حسب وضعها الطبيعي الذي ارتضاه لها خالقها وأكرمها به.

فلذلك نسيت دورها وانساقت، وما عرفت أن الرجل بأسلوبه هذا أراد امتصاص نضارتها والتحكم في حواسها، ثم إذا به يبتز ما جمعته من مال في عملها وجهودها لتصرفه على مظهرها لدور التجميل، ومصانع أدواته التي تعود لجيوب الرجال المؤسسين لهذه الأماكن وهم في الغالب من اليهود.

ومع انتزاع الحياء أصبحت تبحث عن المال بأي طريق،

ومهما علا الثمن، لأن المجتمع الذي دفعها إلى ذلك بقسوته، ماتت منه القيم، وطغت عليه الماديات.

والمرأة المسلمة وهي التي لديها توجيهات في دينها، وقدوة صالحة من نساء الرعيل الأول من أمة الإسلام، يجب عليها أن تعرف مالها وما عليها، وأن تسير في جميع أمورها وفق ذلك المنهج الإسلامي من حيث:

- المظهر واللباس.
- العمل والدراسة.
- العلم والمعرفة.
- أن يحمى ذلك كله الحياء من الله بعدم مخالفة شرعه، ومن الخلق بعدم الإصرار على تقليد أعداء دينها وعقيدتها.
- إثبات أن للمرأة المسلمة مكانة يجب أن تتصف بها.

وعلى الرجال أيضاً إعانتها في ذلك في التخطيط والعمل، وتيسير الأمور، ففي مجال التعليم والعمل لأنهما ضروريان في حياة المرأة عندما تدعو الحاجة. لماذا لايجعل للمرأة كيان مستقل ومنفصل فمدارس البنات من البداية إلى النهاية نساء في نساء، لأنه يتوافر من النساء ما يغطى الحاجة وفي جميع

التخصصات.. ويترك الرجل لأداء دوره في ميدانه مع الرجال.

وفي المستشفيات: يجب أن تتصف المجتمعات الإسلامية بميزة خاصة، بإنفصال مستشفيات النساء عن الرجال، ليتولى العمل في مجال النساء نساء مثلهن إذْ لايصح أن يرى من جسم المرأة من ليس من محارمها، بل هناك أجزاء من جسمها لايراها غير الزوج.

وقد أجاز الفقهاء للمرأة أن ترى من المرأة أشياء كثيرة من جسمها.

وفي مجال العمل يمنع اختلاط الرجال بالنساء، ويكون للنساء أعمال خاصة وأماكن منعزلة عن اختلاط الرجال.

فالمرأة في المجتمع الإسلامي تشكل النصف، ومن السهولة إذا صدقت النية تنظيم عمل هذا النصف بما يعييه كياناً مستقلاً، ومجالاً للبروز، وميداناً للإبقاء على الحياء لدى المرأة وعدم انتزاعه بالتساهل شيئاً فشيئاً.

والتبشير كجزء من محاربة الإسلام جعل أول منافذه في ديار الإسلام: المستشفيات لأن المريض في حالة الضعف يستجيب لما يطلب منه، والمستشفيات هي أول خطوة يراد منها

نزع حياء المرأة المسلمة.

ولكي يبتعد المسلمون عن الزمن الذي حدده رسول الله ﷺ وأخبر بوقوعه لا محالة، وذلك باتباع سنن الأمم الأخرى، وتقليدهم في كل ما ساروا فيه، بحيث لايوجد تمييز بين اليهود والنصاري والمسلمين إلا في الاسم فقط، فإن كل فرد وخاصة النساء اللواتي بصلاحهن تنشأ الأجيال الصالحة، عليه دور مهم في العلم والمعرفة، وإدراك، يتنافى مع دينه للابتعاد عنه، وما يأمر به الإسلام والسير وفقه.

يقول ﷺ في ذلك الإخبار: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة - وفي روايه حذو النعل بالنعل - حتى لو دخلو جحر ضب لدخلتموه، قيل يارسول الله: اليهود والنصاري؟؟ قال: فمن؟!»[1] أي فمن المعنى غيرهم.

وهؤلاء لن تهدأ ثائرتهم مالم يقودوا المسلمين إلى المنحدر الذي وقعوا فيه، ويفسدوهم في مجتمعاتهم كما فسدوا، ويخرجوا المرأة بنزع الحياء عنها إلى مجالات خرجت إليها المرأة عندهم مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ ولن ترضى عنك

---

(١) رواه مسلم

اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾[1] .

ذلك أن الحياء الذي أراده الله للمرأة حصناً يقيها المكاره، ودرعاً يحميها من الوقوع في الزلل، قد انحلت أواصره عندهم، وتفككت عراه في مجتمعاتهم.

وغاية ما يؤمله أعداء الإسلام المتربصون بأهله كسر حاجز الحياء ليسهل عليهم النفاذ لعقل المرأة وجذبها إلى ما صاروا إليه في مجتمعاتهم، وبتأثر المرأة وانقيادها يسهل الدخول للمجتمعات الإسلامية بالفكر والتوجيه.

فهل تعي المرأة المسلمة هذا الدور، وتتعظ من الواقع، وتقارن الأمور بما في مجتمعها، وما تحث عليه تعاليم دينها أولاً وقبل كل شيء.

فالمرأة القروية في الحقل، والبدوية في الصحراء والمستقيمة في بيتها، والمتهيئة لتربية أولادها، ورعاية أسرتها، والعاملة في جو إسلامي بعيد عن الاختلاط، هؤلاء أقل ارتباكاً وقلقاً

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

وأهدأ بالاً وروحاً من الطافحة في المجتمع، الراكضة خلف كل تقليعة، المبتعدة عن منهج دينها المقلدة لغيرها.

ولما كان الناس لايؤمنون إلا بما يلامس أوتار قلوبهم، ولايقتنعون إلا بما هو ماثل أمامهم عياناً فسأورد واقعة من ديار الغرب، وهي واحدة من الحوادث الكثيرة في حياتهم، فقد تناقلت الصحف العالمية، ومنها العربية نقلاً عن الصحف الأمريكية في عام ١٣٩٩هـ، قصة حياة واحدة من كبريات الممثلات في هوليود، وما وصلت إليه حالتها السيئة، ولاشك أن لهذه نظائر كثيرة ممن يعمل في هذا الوسط، تحكي هذه الممثلة بعض واقع حياتها فتقول: عندما كنت شابة نضرة كانت الأيدي تتخاطفني، والعقود المتعددة تقدم لي، فكان الذهب يسيل بين يدي، وأدوس النعمة برجلي، فتسابقت الصحف لكسب حديثي، والتقاط صوري، ومعرفة رغباتي في الملبس والمأكل وفي كل شيء أظهر به عند الغرباء، وكانت دور الأزياء والتجميل تهدي إليّ من صناعاتها لتكسبني واجهة إعلامية، لتكون أعمالي قدوة تحتذى، ومثالاً يسار على منواله.

هذا في الظاهر، أما في الباطن فقد كان كُلٌ يطالبني

بالثمن، فكنت أعيش بين واقعين، ظاهر للناس يتوقع منه السعادة، وباطن خاص بي يؤلمني ويؤرقني، ويحملني أعباء كثيرة على حساب نفسي وعقلي.

ويوم فيوم حيث زهد فيها من كان يجري وراء شهرتها لمصلحته، ووقعت في المخدرات، لرغبتها في الابتعاد عن واقعها فكانت هي السلوة، واتخذت من معاقرة الخمور مخرجاً من همومها، فأودياها إلى المهالك، إذ عالجت الداء بداء أشد وأنكى.

وعندما نفد منها الصبر، وذبل منها الجسم، وضوى الحبيب، وذهبت النضارة، ازدادت المرارة كثرة، فرأت في أمرها - وبئس ما رأت - أن الخلاص من هذا كله، ومما تحسه في نفسها من قلق، ومما تعيشه من مشكلات: بالإقدام على الانتحار لأنها خالية من الدين، ويائسة من الحياة، ضعيفة المعرفة بالله وبشرعه الذي شرع لعباده.

وبعد أن أسعفت وعادت إليها الحياة، أدخلت ملجأ للعجزة، وأصحاب العاهات، تحت الرقابة الأمنية المشددة، والعناية الطبية الدقيقة.

وعندما سألها الصحفي عن أثر التجربة عليها، وانطباعها

النفسي فيما مرّ بها من ممارسات قاسية وظروف صعبة، بكت بحرقة ومرارة، وقالت: لقد ضيعت كل فرصة أمامي بعد انسياقي خلف رغبات الرجال، ونظرتهم نحو المرأة، حيث يعتبرها بعضٌ منهم كالشاة بين الذئاب، فهي في مفهومهم دمية يتلهون بها، ولعبة يمضون بها أوقاتهم، لقد فرطت في شبابي، وأضعت مالي، وأفنيت صحتي وكياني كامرأة لها وضع خاص في المجتمع يجب أن ترعاه، ومكانة يحسن أن تلتزم بها.

ذهبت لرجال الكنيسة لأجد عندهم الراحة النفسية، ولكنهم لم يزيدوني إلا ألماً وحسرة، فلذا يجب أن أفارق هذه الحياة حتى لاتعود إلى نفسي ذكريات الماضي المحزنة، وآلام الأيام الحالكة الفاجعة، إذ في هذه الذكرى ألم يحز في النفس، ومرارة يتأثر بها الفؤاد.

هذا جزء مما جاء في حديث المذكورة الذي نقلته صحيفة الأهرام المصرية في ذلك العام، ولم تكن هذه الآلام هي الوحيدة لامرأة من نساء الغرب، بل القصص كثيرة والمآسي متعددة وخاصة لمن يعملن في مجال الفن والمسرح، وممن يمتهن الغناء والرقص.

هذا النوع من النساء ممن بعن أنفسهن وأهواءهن لأعوان الشيطان، فطرحن جلباب الحياء، ونزعن مهابة الدين من حولهن، في كل مجتمع وبلد.

وأقول الدين لأنني عرفت بأن الكاثوليك من النصارى يمقتون هذه المهنة، ويزدرون بمن ينحدر إليها، بل قد يكفرون أصحابها وصواحباتها.

وأنت ياأختي المسلمة هل تريدين لنفسك الانحدار إلى هذا المستوى، وهل ترضين بأن تكون شخصيتك مهزوزة، وتلقين مثل هذه المهانة، وفي حديث الإسراء والمعراج الطويل مشاهد أوضحها ﷺ لكثير من النساء اللواتي رآهن في النار.

وفي حديث آخر خوّف رسولُ الله ﷺ في خطبته النساء من النار، وقال: تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم، فبادرت نساء الرعيل الأول استجابة وعملاً، وصدقة، وخوفاً، بعد أن حرك فيهن ﷺ عامل الإحساس، وخوفهن من المصير الأخروي.

إن أعداء المرأة المسلمة، وأعداء دينها يريدون لها مصيراً كالمصير الذي وقعوا فيه، فكان منفذهم الذي سلكوه هو محاولتهم الدخول عن طريق الحياء بالابتعاد عنه،وطرح ردائه فهو المدخل لكل الوسائل الأخرى، كما جاء في الحديث

الشريف: «إنما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فافعل ما شئت»[١] .

ومن تحكم في المنفذ استطاع السيطرة على ما يؤدي إليه، وهو الإيمان واليقين.

والفارق بين المنهجين بسيط: إما الامتثال لأوامر الله وتعاليم دينه، والانقياد للهاتف الذي يقول: كلا ثم كلا، وتطبيق ذلك عملاً، بالتجاوب مع هذا الهاتف تطبيقاً وإرشاداً. أو الاستسلام والتردي مع أولئك الدعاة.

وما نزع الحياء من المرأة: في الحديث والمقابلة، في العمل والدراسة، في اللباس وعدم التستر. في السوق ومزاحمة الرجال، إلا دلالة على ضعف الإيمان والابتعاد عن المنهج السليم الذي يرفع الله به المرأة ديناً وخلقاً.

ومسلكها هذا يعتبر هبوطاً في سلم التردي، ومنحدراً قوياً في تلك التبعية، التي يراد منها جر المرأة المسلمة إليها، لتبتعد عن مصدر قوتها، ومنبع تشريع دينها، وبذا يسهل قيادها، والتحكم في مجتمعها، وإفساد أجيال الأمة التي

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي مسعود البدري

سترعاها.

لكن دور المرأة المسلمة الوعي والإدراك لخفايا ما يراد جرّها إليه، لتعمل جاهدة لنفسها ولبنات جنسها: مجاهدة ومكافحة، ناصحة ومسترشدة، لتقضي على أمنيات الأعداء بالإحباط والتغلب.

والظاهرة المفرحة بحمد الله - أن الوعي الإسلامي، قد شملت خصائصه المرأة في اليقظة الجديدة التي تمر بالمسلمين في كل مكان، بالحرص على المسيرة وفق تعاليم الإسلام، وفهمها جيداً، والدعوة إليها، وتطبيقها عملاً، والبحث مساءلة.

وسيؤدي هذا الإحساس بجهود طيبة، ونتائج مثمرة، متى حسنت المقاصد، وصدقت النيات.

وهي أمانة ملقاة على كل امرأة بالتوعية والتفهيم والتوضيح، والعمل المتواصل حول توجيه بنات جنسها إبراء للذمة، وانتشالاً لمن وقع، والكل في هذا الأمر سواء رجالاً ونساء أخذاً من الحديث: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليخالفن الله بين قلوبكم، ويلعنكم كما لعن الذين من قبلكم»[1].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٣

فأي مجتمع يتراخى، ويسكت على ما يحاك له، ويردد أفراده العبارة التقليدية: وأنا مالي. فإنه سيكون فريسة سانحة للأهواء، ولقمة سائغة للأعداء، بحيث تكثر المشكلات النفسية والخلقية. فأعداء الإسلام يعملون بخبث ودهاء، وصبر ومواظبة، ويجب أن لا نكون عن أعمالهم تلك غافلين، ولا في السعي لإدراك ما وجب علينا مقصرين.

من وراء الصورة المثيرة:

ما أصدق ما يقوله رسول الله ﷺ ، وما أدق ما يخبر به من أمورهن من دلائل نبوته، وعلامات معجزاته الدالة على صدق ما جاء به، فقد أخبر ﷺ عن أناس من أمته بأنهم سيسيرون فيما سارت فيه الأمم الأخرى عندما قال ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قيل يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟؟!!»[١] .

---

(١) رواه مسلم والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة قيل يارسول. كفارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلا أولئك».

ففي هذا الاستفهام الإنكاري، والذي يفيد التعجب منه ﷺ .. إذ كأنه يقول: كما جاء في بعض الروايات، فمن المعني غيرهم؟؟

نلمس في هذا العصر، وبعد مضي أربعة عشر قرناً، أن كثيراً من المسلمين، وخاصة النساء المسلمات، ينساقون مهرولين، بل بالسير الحثيث خلف كل جديد يضعه اليهود والنصارى، وينجذبون مع تياراتهم ودعواتهم في استجابة غريبة وتلبية مذهلة، في كل أمر، ولو لم يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي وقيمه وأخلاقه، والصبغة الشخصية التي يجب أن يتمثل بها أبناؤه.

وما ذلك إلا من الرغبة في التجديد والتقليد ولو على حساب دينهم وما يأمر به من أخلاق وسلوك. فقد دعيت المرأة المسلمة إلى عادات وتقاليد ليست من عادات الإسلام، ولاأخلاق المسلمين التي تميزهن عن غيرهم، وتربطهم بعقيدتهم بالقدوة والعمل.

وأبعدت عن واقعها وبيئتها، بل الأشد من ذلك أن قويت في كثير من ديار الإسلام دعايات لكل تقليعة تخترع في باريس، أو تسريحة شعر تهتم بها النساء في لندن، أو كل لون

من ألوان المكياج والتجميل تركن إليه ممثلات هوليود، وراقصات لوس انجلوس، أو أي مكان من العالم، بحيث ترى تلك المبتكرات الجديدة لايركض وراءها بأسعارها الباهظة، وأقيامها الخيالية تقليداً ومماراة، إلا النساء المسلمات في ديارهن المختلفة.. ولعل هذا كامن في سببين:

- استجلاب نقود المسلمين ليتقووا بها عليهم، في مصانعهم وأرصدتهم المالية.

- وإفساد عقيدتهم ودينهم بإبعادهم عن عادات وتعاليم ومثاليات تلمس في أوامر دين الإسلام ونواهيه.

وما أشد أن يطعنك عدوك بسلاحك، أو أن يجهز عليك بما تحت يدك، إنك في هذا الموقف تموت بالحسرة وتتألم ألمين: ألم الطعنة، وألم سلب ما في يدك، وكلا الأمرين مرّ.

إن الاستعمار العسكري بعدما انتهى ترك جذوراً أشد، وقواعد من حيث التوجيه الفكري، والتأثير الاجتماعي، والمنافذ في العادات والتقاليد، والاستعمار الاقتصادي.

ولعلنا لو أردنا أن نرجع للوراء قليلاً، لتقليب الأحداث، والتبصر في الأمور، فإننا سندرك مصداق حديث الرسول الكريم

عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فيما يراد للأمة الإسلامية من تدبير وانحدار، وتقليد ومتابعة.

ويبدأ عمل الأعداء في عالمنا الإسلامي واضحاً عندما أراد الغرب الصليبي أن يجعل له ركيزة في ديار المسلمين فكان لابد من الإجهاز على الدولة العثمانية، ثم البدء بثقافات رخيصة تنفذ للمجتمع الإسلامي، وتهد كيان الأمة الإسلامية بالثقافة الرخيصة، والمعلومات المثيرة الخالية من الروح الدينية، والحصيلة المفيدة من تركيز المعلومات.

فخططوا لإيجاد مجلات تهتم بالسينما وأخبار الممثلات، ثم تعرض جسم المرأة شبه عارٍ وفي أوضاع مختلفة، في عرض أزياء أو جلسات مثيرة، كبضاعة رخيصة أمام أنظار المتلهفين، في هيئات تثير الفتنة، وتحرك الغرائز.

هذه المجلات قصد منها أشياء.

- الاهتمام بالمرأة صورة وخيالاً، عرضاً وإبراز للإثارة ولفت الأنظار.

- إفساد المجتمعات الإسلامية، وإلهاء أبناء المسلمين بثقافات رخيصة، ومعلومات لاثمرة فيها، بقصد إبعادهم عن

هدفهم الأساسي في الحياة، وفطرتهم التي فطر الله الناس عليها.

- ابتزاز الجيوب، والترويج لبضائع وصناعات دور الأزياء والتجميل..

- إثارة الغرائز والتمرد الإجتماعي والأسري.

ولعلنا لو أردنا تأريخاً دقيقاً للصحف التي تهتم بإبراز المرأة شبة عارية، وفى أوضاع مثيرة لطالبي المتعة، والمهتمين بتحريك العواطف، وذلك ضمن: الصورة الخليعة العارية، والقصة الخيالية المثيرة، والحكايات الغرائزية المستترة، والهواجس النفسية الكامنة، والإنفعالات المكبوتة.

وتحريك ذلك كله بكلام رخيص ومكرر، يستجلب الانتباه للمراهقين والمراهقات، ويثير كوامن نفوسهم، وخفايا أحاسيسهم.

لوجدناها في العالم العربي بالذات قد بدأت بالمجلات التالية، وهي التي قادت المسيرة وحملت الراية:

١- المصور لصاحبيها أميل وشكري زيدان، وقد أصدرا أول عدد منه عام ١٩٢٤م عن دار الهلال، وهي أول مجلة عربية -

على حد علمي - تهتم بالمغنيين والمغنيات وتقليعة الشعر وموضات الملابس الغربية، ودعايات المكياج بصورة مثيرة، ومن نساء الغرب وممثلات تلك الديار، ثم بدأت في التقليد والظهور شيئاً فشيئاً نساء عربيات غير مسلمات، ثم لحقت بالركب بعض النساء المسلمات.

وتاريخ صدورها يلي انهيار الدولة العثمانية بقليل، كرمز للخلافة الإسلامية، ووحدة المسلمين، حيث قسمت ديار الإسلام كغنيمة سائغة للدولة الغربية المتحالفة.

٢- الكواكب وقد صدر أول عدد منها عام ١٩٤٩م أي في أثناء الحرب بين العرب واليهود في فلسطين، وعند بدء الهدنة، وقد أسسها: أميل زيدان وشكري زيدان. وصدرت عن دار الهلال التي أسسها والدهما جرجي زيدان، هي والمصور وآخر ساعة.

٣- حواء صدر أول عدد منها عام ١٩٥٥م أي قبيل الحرب الثلاثية على مصر بأشهر، حيث اتفق اليهود والفرنسيون والبريطانيون في هذه الحرب، وقد صدرت عن دار الهلال التي أسسها جرجي زيدان وكان لابنيه أميل وشكري مسئولية الإصدار.

٤- الموعد صدر أول عدد منها من لبنان في حدود عام ١٩٥٦ وهو عام الهجوم الثلاثي على مصر.

٥- الشبكة صدرت عن الصياد في حدود ١٩٥٤ في لبنان لصاحبها سعيد فريحة.

٦- سمر صدرت عن دار الصياد أيضاً بلبنان في حدود عام ١٩٧٣ م وهو عام حرب مصر مع إسرائيل.

ثم بدأت تتوالى الصحف تباعاً أو ينساق في ركابها غيرها تقليداً واحتذاء، وكانت أبرز سمة لأمثال هذه الصحف صورة الغلاف الذي يحمل أجمل فتاة، والمذكرات الوهمية والاهتمام بأخبار النساء وصورهن.

وعندما نريد أن نقارن التواريخ بالأحداث فإننا سنجد تلك الصحف في العالم الإسلامي بأسره، وفي الدول التي بها غالبية مسلمة، جميعها ترتبط بدأ وتخطيطاً بالحرب العالمية الأولى، تلك الحرب التي تكالب فيها الغرب الصليبي، وتحالف في القضاء على الدولة العثمانية كرمز للإجتماع الإسلامي وقوة المسلمين، ثم ما تبع ذلك من إرهاصات، واتفاق على تقسيم الدول الإسلامية بمناطق نفوذ فيما بينهم، ورسخوا أعمالهم تلك بوعد بلفور المشئوم بتكوين دويلة يهودية في

فلسطين، لتكون خنجراً مسموماً في جنب العرب والمسلمين.

وإن هذه الإرهاصات ليقصد من ورائها هدف بعيد المرمى، يرتبط بآثار الحروب الصليبية، وما حاولت تركه في ديار المسلمين من تخريب وبلبلة، وبث للفرقة، وغرس جذور الشر في مجانبة المسلمين لعقيدتهم، وإبعادهم عن دينهم.

وعندما رأى هؤلاء أن المسلمين كلما اشتدت عليهم الأزمات عادوا إلى دينهم أو بحثوا عن أسلم طريق يحقق لهم مآربهم، ويلهي المسلمين عن هدفهم الأساسي، ويبعدهم عن دينهم وتعاليمه وذلك بشغلهم بمثل هذه الثقافات الرخيصة، وإلهائهم بالصورة الخليعة المكررة، ثم السعي لإخراج المرأة عن تعاليم دينها بالصورة الفاضحة، والقصة الوهمية والثقافات المتباينة، ونسب ذلك للمرأة باسم التطور والعلم، والتقدم الحضاري.

وقد ساعدهم على أعمالهم المرسومة، أيادي طبقة من أبناء المسلمين وفي مجتمعهم، تلبي الرغبة وتحقق المأرب، فاتكأوا عليهم في تزعم بث أمثال هذه الثقافات الرخيصة، وإخراج أمثال هذه المجلات بين المسلمين.

لأن أمثال هؤلاء باندساسهم بين المسلمين في ديارهم، وتكلمهم بلغتهم، ودعوتهم لمسايرة الأمم الأخرى فيما وصلوا

إليه في بدء نهضة المسلمين، ويقظتهم من السبات العميق، يعطون لأنفسهم صبغة الحريص والفاهم.

ومن يتتبع مؤتمرات التبشير، ويتعمق في توصيات مؤتمرات الإستشراق، يرى الرغبة الأكيدة والحرص الشديد بالتركيز على المرأة، كعنصر مهم في تحقيق الغاية، ومدخل لإفساد المجتمعات الإسلامية، إذا تحكموا في قيادة أمرها كما يخططون.

فهي متى خرجت من بوتقتها التي رسمتها تعاليم الإسـلام : ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[١] ، وابتعدت عن دائرة الحشمة التي وجهتها إليه تلك التعاليم، وفق الأداب القرآنية، والمنهج المميز التي رسمتها آياته الكريمة، وسنة الرسول الكريم ﷺ فيما يجب أن تسير عليه المرأة، في حياتها، ودروها الذي بجب أن تؤدى وذلك بتشجيعها على التآسي بتلك الأعمال التي سارت عليها المرأة في بلادهم، فإنه يسهل جذب المجتمع بأسره لأمور كثيرة، تأتي تبعاً لذلك.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

لقد وقع المجتمع الغربي في مشكلة اجتماعية، وانحلال خلقي، عندما أطلقوا للمرأة عنانها، وأتاحوا لها الارتواء من الثقافات الرخيصة، والانطلاق بلا رقيب أو حسيب باسم الحرية والمساواه وتغافلوا عن الدور الحقيقي الذي هيأة الله لكل من الجنسين في هذه الحياة، والمهمة التي خلقوا من أجلها، وصعب عليهم الانفكاك مما هم فيه، أو إنقاذ أنفسهم من هذا المنحدر الذي تردوا فيه، وفي هذا مصداق لحديث المصطفى ﷺ عندما أخبر بأن النساء هي أول فتنة بني إسرائيل»[١] ، وأنه ما ترك ﷺ على أمته أضر فتنة من النساء»[٢] .

لقد أراد أعداء الإسلام للمجتمعات الإسلامية الانحدار إلى ما وصلوا إليه، حتى يمكنهم السيطرة عليهم وعلى خيرات بلادهم، والتحكم في عقول أبناء الإسلام وتوجيههم.

يقول أحد قادة الروم عندما توالى عليه الانهزام في حروب الشام في عهد الخلفاء الراشدين، وهو يتهيأ لمغادرة تلك الديار: سلام عليك ياسوريا وداعاً لارجعة بعده، ثم سأل جنوده وقادته قائلاً: ما بالنا ننهزم أمام هؤلاء القوم وهم أقل منا

---

(١) من حديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

(٢) من حديث رواه الجماعة عن أسامة بن زيد

عدداً وعدة. وأقل منا تمرساً في الحروب، فسكتوا ولم يجيبوه، فرد عليهم ثانية وثالثة: فقام شيخ منهم وقال: أتأذن لي في الجواب؟ قال نعم قل.

قال: إن هؤلاء يطيعون الله ونحن نعصيه، فهم يصلون بالليل، ونحن ننام، ويصومون في النهار ونحن نأكل، ويطلبون الجنة ونحن نطلب المغانم والدنيا، لذا كان الله معهم.

قال: هل يمكن أن نتغلب عليهم في يوم من الأيام؟ قال الشيخ: نعم. قال: ومتى؟

قال: إذا فسدت نساؤهم، وعصوا الله في أعمالهم وركنوا إلى الدنيا، عند ذلك نتساوى معهم في المعصية، فيتخلى الله عنهم، فنقهرهم بقوتنا التي تفوق قوتهم.

ومصداق هذه الحكاية ما ورد من حديث رواه على بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم إذا فسق فتيانكم، وطغى نساؤكم؟ قالوا: يارسول الله، وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم وأشد، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: يارسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم، وأشد، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: يارسول الله وإن ذلك لكائن؟؟ قال: نعم وأشد، كيف

بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[١] .

ولتحقيق هذا فإن أعداء الإسلام يجدون ضالتهم في دور النشر المنتشرة في بعض ديار الإسلام، ويتصرف في شئونها أناس من أبناء جلدتهم اندسوا في مجتمعات إسلامية، فتدعم بأموالهم، وتوجه بأفكارهم لتكون شوكة في طريق المسلمين، وسلاحاً ذا حدين في نحورهم، بعد أن تستغل ما وقع فيه المسلمون من غفلة.

ونظرة لأمثال هذه الصحف: ماذا يكتب فيها، وما تحمله جميع أعدادها من مادة ثقافية؟؟ وماذا تنبئ عنه صفحة الغلاف؟؟

ثم نظرة أخرى للتمعن في ماذا قدّم أصحاب هذه الصحف للمرأة المسلمة من فكرة حسنة، أو نصيحة إرشادية، أو توجيه اجتماعي، أو فكرة سامية.

إننا لن نجد إلا ثقافة مهلهلة، وكلاماً لا طائل تحته، وصورة ما جنة مثيرة، ودعوة إلى التمرد الاجتماعي، والانحلال الخلقي، والاهتمام بالمغنين والمغنيات، والرفع من مكانة

(١) جامع الأصول ج١٠ ص ٤١ - ٤٢

الممثلين والممثلات، مع التركيز على المرأة كعنصر مهم في أداء الرسالة التي أوجدت هذه الصحف من أجلها.

هذه الخصائص هي أبرز ما يلمسه المتعمق في هذه الصحف، المقوم لما تشتمل عليه من مادة. وإن المدقق عندما يتفحص محتواها يجدها تخدم ما قاله المبشر صموئيل زويمر في أحد مؤتمرات التبشير والإستشراق، قبيل الحرب العالمية الأولى.. مما خلاصته:

- لانستطيع هدم الإسلام إلا من داخله.

- يجب أن نسلط على المسلمين وسائل الإعلام التي تزعزع تعاليمه من الداخل من صحف ومجلات وإذاعة وسينما.

- إن المرأة المسلمة يجب أن تخرج من واقع حياتها التي تسير فيها وفق تعاليم الإسلام إلى الأسلوب الذي سار عليه الغرب، وتدخل مجالات جديدة: كالفن والرقص والغناء، والتمثيل والسهر، والتصوير وأنواع نرسمها لها من الثقافة.

- يجب أن نشكك المسلمين في دينهم وتعاليمه، وأن نحتضن من أبنائهم تعليمياً وتوجيهاً وإبرازاً ودعاية، ومن نسائهم بالذات من ظهرت عنده هذه البادرة، فهذا خير سلاح-

نستعمله لأن مؤرخهم ابن خلدون قال في مقدمته: لايهدم الملك إلا من بناه، ويقول: لايقوم الملك إلا على عصبية دينية أو قبلية، ونحن نقول: لايهدم الإسلام إلا بيد أبنائه، فيجب أن نستغلهم، ويجب أن نميت فيهم العصبية الدينية بالتهاون بأمر الدين، والتمرد على تعاليمه.

هكذا ياأختي المسلمة يريدون لك ولمجتمعك، ومن وراء ذلك هدم الإسلام الذي أنت دعامة من دعائمه وركيزة قوية في بنيانه.

يريدون لك أن تنجذبي معهم حتى يفسد نصف المجتمع، وبفساد هذا النصف يفسد المجتمع كله، لأن في صلاح الأم، وصلاح الزوجة، وتمسكهما بدينهما: خلقاً ومبدأً، عقيدة ومنهجاً: قوام للمجتمع بأسره، وتوجيه لأبنائه لما فيه الخير والسعادة.

فالمرأة متى صلحت واستقامت صلح المجتمع، وبثت فيه الخير والنماء، فهي أم ترعى أبناءها وتوجههم التوجيه السليم، وهي زوجة تؤثر في بعلها ومن يحيط به، وهي معلمة تربي ناشئة وتثقف عقولاً، وقديماً قيل: خلف كل رجل ناجح امرأة، وهنا نقول: إن خلف المجتمع الصالح توجيهات امرأة صالحة.

لكنهم يريدون أن يكون خلف المجتمع الفاسد، والمتحلل من القيم والأخلاق، والمبتعد عن تعاليم الدين: امرأة مدفوعة وخارجة في تصرفاتها عن القيم والأخلاق، لتحرك هذا المجتمع وتتحكم فيه، وتبث السموم في داخله، وتجعل جسراً يعبر إلى الإسلام من فوقه.

وإن المنطق السليم، والعقل الراجح من المرأة المسلمة، ليحتمان عليها أن تعرف وتوازي ليكون لها دور إيجابي فيما يراد بها فترفضه، كما يرفض الجسم أي شيء غريب يحتم عليه بأن يمتزج به، ولاتزال المرأة المسلمة بخير ما دامت ترفض كل أمر يخالف تعاليم دينها في العمل والمظهر ومنهج السلوك، وتزن الأمور بميزان العقل الناضج، المستمد من تعاليم الإسلام التي حفظت النفوس والمجتمعات، وأكرمت المرأة بالمنهج المرسوم لها في هذه الحياة.

ولذلك ظهرت دعوات في بعض المجتمعات الإسلامية داعية لعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، لأن في هذا إضرار بحقوق المرأة[١] .

---

(١) نقلاً عن جريدة النور المغربية العدد٢٣١ أول ربيع الآخر سنة ١٤٠٧هـ والدعوة ضد الشريعة وتطبيقها في باكستان من المعارضين والشيوعيين.

صورة مشرفـــة:

في بداية العام الدراسي ٧٩ - ١٩٨٠م واتتني فرصة، وسنحت لي خاطفة لزيارة كلية البنات بجامعة الأزهر، وخاصة قسم الدراسات الإسلامية.

فكانت هذه اللمحة العاجله ذات أثر عميق في نفسي حيال وضع المرأة المسلمة بصفة عامة، وأنها لتزال بخير إدراكاً وفهماً وعملاً واعتداداً بتعاليم دينها.

وقد أعجبني في هذه السانحة أشياء حسبتها بارقة أمل لوضع المرأة المسلمة عموماً واهتمامها بما أوجبته الشريعة الإسلامية عليها، وهذا من التطبيق بعد الإدراك.

ولم يعجبني أشياء أخرى هي في ظاهرها بعيدة عن خط الإسلام المستقيم، الذي رسمته تعاليمه من مصدري التشريع فيه، وحسبما فهمه أسلافنا الأوائل، وساروا عليه في مشوارهم الطويل.

فالأمل يتأرجح بين التفاؤل والقنوط من مستقبل المرأة وحرصها على التمسك، ولكن ظاهرة الأمل أقوى لتزايد الإستجابة، والحرص على الفهم والتطبيق بروية وعقل. فلقد

كان مفرحاً حقاً، ومن باب الإعتراف بالفضل لأهله أن تتجمل ردهات هذا البناء بنساءٍ هنَّ مثال العفه والتستر، وقدوة الإقتداء والعمل، وماذاك إلا عن إدراك وفهم، وتبصر ووعي.

وإلى هذا الجانب يحز في نفسي أن أرى بعضاً من طالبات هذا الفرع الحساس لا يطبقن ما يدرسنه من علم عقدي، ولايتقيدن بما يتلقينه من توجيهات ربانية عن المرأة المسلمة وما رسمته لها شريعة الإسلام بمصدريها - كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ - من مظهر وخلق، مع أنهن خير أمل يداعب خيال الغيور على دينه، وأكبر رصيد يرتجى بإعادة المرأة إلي المجتمع بصورته المشرقة، وتوضيح جادة الصواب لأفراده لإدراك الواقع وتلمس المخرج لما وقعت فيه المرأة المسلمة اليوم من تقليد لغيرها، وبعد عن تطبيق تعاليم دينها.

لقد كانت بعض الطالبات في هذا المعقل الإسلامي لايتقيدن باللباس الذي فرضته شريعة الإسلام،وتمثلت به الصفوة الأولى من نساء هذه الأمة سؤالاً وتطبيقاً، وفهماً وإدراكاً، اقتداء بما سارت عليه أمهات المؤمنين في عشرتهن مع رسول الله ﷺ كما فهمته نصاً ومعني من مصدري التشريع في دين الإسلام.

وهذه أعظم طعنة يوجهها الإسلام وأهله، بأن تكون معاقل

العلم ومصانع الرجال والنساء، ومواطن الفكر وإشعاعه هي التي يتسرب منها الداء وتنبعث التبعية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل فتيات اليوم يفهمن جيداً ما تعنيه التوجيهات الربانية في سورة النساء والنور والأحزاب من توضيح لما يجب أن تتخلق به المرأة، ومنهج يحسن أن تتقيد به، وهل لهن مفهوم غير مفهوم نساء الأنصار اللواتي يستمعن يومياً لأزواجهن في غدواتهم من مجلس رسول الله ﷺ بعد أن يسألن عما ينزل من القرآن، ثم يتعمقن فيما تعنيه الآيات.

نراهن بعد ما سمعن آية الحجاب في سورة الأحزاب بعد عشاء أحد الأيام، يخرجن لصلاة الفجر في ذلك اليوم وكانت نساء الصحابة يحرصن ذلك الوقت على أداء الصلاة مع رسول الله ﷺ جماعة - نراهن يخرجن في ذلك اليوم وهن معتجرات بالعمائم لايعرفهن أحد، ويلتصقن بالجدر إذا مر بهن رجال، لأنهن سمعن نصاً صريحاً ومدلولاً جديداً، وهن العربيات لغة، السليمات سليقة، الراغبات في التقيد العقدي وتطبيقه قولاً وعملاً.

إن طالبات الدراسات الإسلامية، ومن جامعه الأزهر

بالذات، يجب أن يكن قدوة، فهن مسئولات أمام الله عما أخذنه من علم، وما طبقنه من عمل، ولذا يجب أن تتمثل فيهن القدوة والمثالية، ذلك أن حامل العلم سيكون علمه حجة عليه بل سيتجسم له خصماً يحاجه أمام خالقه، ولقد نسب للإمام الشافعي في هذا المجال قوله:

وعـالم بعلمـه لم يعملن   معذب من قبل عابد الوثن

كذاك من بغير علم يعمل   أعمـاله مردودة لاتقـــبل

قد تقول بعض المدافعات عن هذا التصرف، إن الأعمال ليست بالمظاهر فهناك نية القلب وحسن الطوية.

لكن هذا القول ليس على إطلاقه ، فلو كانت نية القلب كافية، لما كان في الدين الإسلامي تشريعات وأوامر تؤتى، وأشياء تترك.

ولو كان حسن الطوية وحده يكفي لما أمر الله نبيه في خطابه الكريم له في قوله :﴿ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك، أدني أن يعرفن فلا يؤذين﴾[١] .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٩.

وأوامر الإسلام كلها لم تكن قاصرة على النية، بل إن النية تدفع للعمل والعمل هو الذي يتحقق به الجزاء: من ثواب أو عقاب، فمثلاً الصلاة التي هي عمود الإسلام عمل مظاهر، وفيها يقول ﷺ : «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[١] والانتظام في أدائها من علامات الإيمان، والتخلف عن أدائها في وقتها أو مع الجماعة بالنسبة للرجال من علامات النفاق، كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه»[٢] .

فإذا وجدت النية الصادقة لدى المرأة المسلمة، بحرصها على تطبيقات التعاليم الشرعية، وأوامر دينها، قولاً وعملاً، قدوة وابتداء، فإن هذه النية تتحول إلى كيان متجسم تبرز معالمه بالشكل والصورة.

هل نقول مثلاً عن أنفسنا إننا مسلمون: ونحن لانؤدى أركان الإسلام الخمسة، وهي كلها ظاهرة للعيان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذه تظهر باللفظ، وإقام الصلاة وهذه تظهر بالعمل اليومي خمس مرات حسب أوقاتها

---

(١) رواه النسائي والترمذي من حديث بريدة رضي الله عنها.

(٢) انظر جامع الأصول ج٥ ص٥٦٩ الذي رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

مهما كانت مشاغلنا، والتهيء لذلك بالطهارة.

- وصوم رمضان: وهذا يعلم بالحس الظاهر شهر في السنة.

- وإيتاء الزكاة: وهذا ظاهر يدركه الفقراء لما فيه من رعاية لأحوالهم وكفايتهم شر الحاجة حسب المقدار المخصص، ولفئة معنية هم الثمانية الذين حددتهم سورة التوبة.

- وحج البيت الحرام، لمن استطاع إليه سبيلاً مرة واحدة في العمر، وهي أفعال ظاهرة بالسفر وأسبابه.

إننا لانستطيع أن ننوي أداء هذه الأعمال في قلوبنا فقط، دون أن تبرز ذلك عملاً ظاهراً.

وهل يستطيع أي عالم من علماء الإسلام أن يقول إن نية عمل هذه الأشياء الخمس في القلب، يكفي عن العمل والأداء؟؟!

إن المجتمع الإسلامي لايتكون إلا عندما يتمثل أفراده بتعليمات الدين قولاً وعملاً، شكلاً ومضموناً. لأن الإسلام وحدة متكاملة، لايصح الإيمان ببعض والكفر ببعض، أو العمل ببعض والتساهل في بعض.

وفي موضوعنا هذا حول المرأة المسلمة في هذا المعقل

العلمي وغيره من معاقل العلم العديدة في العالم الإسلامي، وبالذات دور التعمق في أصول الشريعة والعقيدة، التي هي أولى من غيرها بالمحافظة علي مدلول هذه العلم، والتقيد بتعليمات الدين والتمسك بمصدر التشريع الإسلامي.

فإن المرأة يجب أن تكون قدوة في نفسها متمثلة بذلك في سلوكها، مطبقة مبادئ دينها، وهيمنته في تصرفاتها، غير عابئة بما حولها من مظاهر تتنافى مع جوهره.

إنها في هذا السلوك، وبهذا المنهج تصبح النموذج المثالي، ومثار إعجاب وتقدير بنات جنسها، فقد تنجذب كثيرات غيرها لهذا الأسلوب الذي اختارته لنفسها عن قناعة، وهذا الدرب الذي سارت فيه بالاقتداء.

إن المرأة عندما تتمثل ذلك وتثابر عليه، تحقق الدعوة الإسلامية في أسمى مراتبها، فالدعوة ليست قاصرة على الوعظ في المساجد وفوق المنابر، ولا على ذوي الأقلام في صفحات الجرائد والكتب.

لكنها تجدي أكثر بالقدوة الصالحة، وتكون أبلغ بالتطبيق العملي.

ودور المرأة في تبليغ الدعوة، وتمكين جذور العقيدة، وربط بنات جنسها بأواصر الدين لا يقل أهمية عن دور الرجل، بل إن المرأة قد تكون أقدر في المجتمع النسوي وأسلس في الإقناع لهن بأسلوب محسوس، وعبارات مقنعة.

فالمرأة قد جبلت علي التقليد والاحتذاء، والتأثر بالعواطف الجيّاشة. والتفاعل مع المؤثرات المحيطة.

وإذا كان دور المرأة بهذه المنزلة الرفيعة في الدعوة والتوجيه، فإن على طالبات الدراسات الإسلامية مسئولية كبيرة في أنفسهن أولاً، ثم في التأثير فيمن حولهن، لأن مسئولية العلم كبيرة في الأخذ والعمل والدعوة.

فطالبات الدراسات الإسلامية عندما يتحدثن فإنما يتكلمن عن علم، وينطقن عن حكمة، ويجادلن بتبصر، ويناقشن عن عقيدة وبالدليل. فلا يجب أن تخرج هذه الأعمال والأقوال عن الصحيح في نظر التشريع الإسلامي.

ودورهن كطالبات لا يقل عن دورهن كموجهات ومعلمات لبنات جنسهن، وموضحات ما اهتمت به عقيدة الإسلام من تعريف بدور المرأة في الحياة والمجتمع، والأسرة والبيت، مالها وما عليها.

وما أؤمله ويرجوه كل مخلص لدينه وأمته، أن تكون رائدات الصروح العلمية، هن خير من يؤدي الأمانة الكبيرة في العلم والتبليغ. أخذاً وعملاً وعطاء، تلك الأمانة التي ناءت بحملها السموات والأرض. وحملها الإنسان الظالم لنفسه. الجاهل بحق هذه الأمانة، ودوره في أدائها.

فهل أدى الإنسان - رجلاً كان امرأة - هذه الأمانة؟؟!!

ثم ما هو دور طالبات ومعلمات كليات الشريعة، وأقسام الدراسات الإسلامية للبنات بالذات في أدائها ؟!.

سؤال تحتاج الإجابة عليه إلى مراجعة للنفس، ومحاسبة للتصرفات.

والذي يرجوه كل مخلص لدينه. حريص على سلامة القاعدة الصلبة في المجتمع الإسلامي، أن تعود المرأة في تصرفاتها إلى رشدها، وأن تستلهم الحقيقة في تصرفاتها، وأن تتنبه إلى ما يدور حولها، ثم تعي مكانتها السامية التي أرادها لها الإسلام، حيث أحلها مكاناً رفيعاً.

وهذه المنزلة أولى من يتهيأ لها طالبة العلم التي جمّلها الله بلباسه، وشرّفها بالتطلع إليه ليكون حجة لها لا عليها.

رزقهن الله النية الصادقة، والحماسة للتطبيق والامتثال، ثم القناعة بأداء الأمانة وإرشاد الآخرين. وبذلك تتحقق الصورة المشرفة للمرأة المسلمة، والدور الفعال في إصلاح المجتمع وتوجيهه لما فيه سعادته.

نساء يرشدن بنات جنسهن:

واحدة من نساء الجزيرة العربية ولدت في منطقة أبها عام ١٢٧١هـ وتوفيت بها عام ١٣٣٨هـ، حفظت كتاب الله واستظهرت ما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذها الأتراك أسيرة مع بعض الأسر الكريمة من هذه البلاد أيام حملاتهن المتتابعة،. وكانت تجيد اللغة التركية، وبقيت في استامبول سبع سنين من عام ١٢٨٩هـ إلى عام ١٢٩٦هـ. واسمها فاطمة بنت سعد.

وقد لاحظت في أواخر حياتها أن هناك انحرافاً في تعليم الدين، ودعوات غريبة أطلقها أصحاب الشهوات، ومن ذلك الدعوة إلى الاختلاط وإلغاء الحجاب بحجة التحرر فقالت قصيدة تحذر بنات جنسها المسلمات من الوقوع في شرك المفسدين، الذين يريدون أن يغبوا من الشهوات بقدر ما يسمح

لهم هواهم، ويتمرغوا في أوحال الرذيلة، ويخرجوا الفتيات من خدورهن الأمينة إلى كهوف الذئاب المظلمة. وهذه هي القصيدة التي تبلغ ٨٣ بيتاً وهي تعبير ممن أحسّ بالألم ويخشى العاقبة فقالت رحمها الله[١]:

بنت أمي ويا فتاتي المصانة   أنت في الكون نوره وكيانه

حُرَّةٌ بَرَّةٌ رعتــــك العيون   وقلوب والقلب يضفي حنانه

أنت للأهـــل كل ما يرفع الأهـ   ـل مقاماً وأنـت دفء الحضـانه

شرف للأب الكريم وطـــهر   لأخ عـزّز الإلــه مكانــه

ربّةُ البيت والعشـيرة تزهو   بك، فخراً وأنت رمز الرصانه

وانتخــاء الفرسـان في سـا   حة المجد إذا عـطّر الندى ميدانه

بك تسمو الأعــراق عِزاً وتبقـي   راية العِرْض في الزمـان مصـانه

وإذا ما سلــكت للنــبل درباً   بك يا منيتـــي تصـان الديــانه

يارعاك الرحــمن تيــهي عفافاً   وسمـــواً ورفعــة وأمانـــة

وتحــلى بفــطنه وذكـــاء   وتوقي من كـيد أهـل الخيـانة

لا يغرنــك ما أشــاعوا وحاكوا   من كلام وزينــوا بهـــتانه

ثم ألقوا الأضــواء في كل درب   ودَعَــوها حـــريّة فــتّانة

جعلوا المغريات شــركاً وزانــوا   عدة الصيد واستـــطابوا رهـانه

---

(١) عن كتاب امتاع السامر ص ١٨٦ - ١٩١

أنت نصف الحياة ما طاب عيش — إن تواريت واقتفيت الرزانة
هكذا أعلنوا وقالوا تعاليْ — شاركينا ونوّري مهرجانه
روعة العصر أن تكوني مع الـ — عصر فزيني أوقاته وزمانه
وارفعي الرأس عالياً في شموخ — وردي البحر واملأي شُطآنه

حرية أرادوا لتغدو — درة الطهر في الحياة مهانه
بنت أمي لا لا تصيخي لقولٍ — عابث أظهر الزمان هوانه
كل ما يبتغون أن يذهب الـ — طهر وتغدين مضغة مرنانه
شرف الطهر أن يصان عزيز — إباء وفيك مجد القيانه
كم تولى الدفاع عنك ليوث — من قديم وعززوا أركانه
لم يبيحوا في الجاهلية عرضاً — بل رعوه ومن رعى العرض زانه
ثم جاء الإسلام يحمي حمى الطـ — ـهر وأعطى للنبل أسمى مكانه
كيف نرضي وقد تقدم دهرٌ — باختلاط ونصطلي نيرانه
كيف ترضى الهوى يثير لهيباً — ودخاناً فهل نطيق دخانه
بنت أمي عبّي من العلم ما — شئت وكوني نضيرة ريّانه
واسكبي ريِّك الحنون ببيت — بات للزوج دوحةً فبنانه
نضرّيه وطلّليه بأنسٍ — وحياءٍ وغيرةٍ وأمانه
واجعلي من بنيك فرسان مجد — وإباءً تُعلِي الكرامة شانه
بك يعتز كل من عرف النبل ورا — م الهدى وصان كيانه

بك أوصى الرسول أماً وبنتاً ... فأفيضي من الفؤاد حنانه
سيرة المصطفى تشير وتروي ... ما يُعزُّ الهدى ويحيي بسيانه
أوفد النسوة الكرام إليه ... مرأة بَرّةً تفيض رزانه
وقفت في تأدُّبٍ وخشوع ... تسأل المصطفى شئون الديانه
لم تُرَعْ والهدى أفاء عليها ... جرأة الحق فارتضت تبيانه
وسلي هند كيف عزتْ وقالتْ ... حرة القوم لا تروم الخيانه

أيها العير اخسؤوا لن تروها ... لخداع أو دعوة خَيْفَانَه
لن تباح الحصان مادام فيها ... نبضة من كرامةٍ وأمانه
بنت أمي لا تخضعي القول حتى ... لاتغري من يقتفي شيطانه
دون ما يشتهي حماة أباةُ ... ودماء تمحى بها أدرانه
لا تهيني .. مهلاً هناك حماة ... وأباة لا يرتضون المهانه
شرف فيك عززوه وصالوا ... تتهادى دونه فرسانه
أنزل الله سورة لك تكـ ... ـريماً وفيها وسُدت خير مكانه
حولك الذكر في كثير من الآ ... يات..طوبى فقد حملت الحضانه
وحباكِ الرحمن أكرم مخلوق ... عزيز مكلف بالأمانه
وإليه خلافة الله في الأر ... ض وألقى في عزمه سلطانه
صرت ظلاً له وريفاً ندياً ... بتَّ منه إنسانة وكيانه
أكرمي عرضه إباءً وصوني ... عيشه في تلطفٍ ولَدَانَه

أنت منه اللبـــاس وهو لبـاس ... لك .. كوني رياضه الفـينانه
أنـــــت للدار نور خُلقٍ ووعي ... وهو القوام يحـــــفظ شانه
فاحرصي أن يكون ذكرك طيباً ... لبنـــــينٍ وعزة ورصـــانة
إن شوق الصـــبا كفارح صُدَّي ... من جـــموح وقيدي أرسانه
جعل الله للكـــــرامة أجراً ... في جِـــنَانٍ نــدية ريانة

حرمُ البيت قرّي فيه وتـيهي ... بعفـــاف ولسدلي أردانه
واحذري كل عابث هشّ للُقْيَا ... وأعطي حلو الكلام لسانه
والزمي الصـمت في إباءٍ وعزٍّ ... لا يغــرنك وأبعـدي شيـطانه
ربما أظهر التواضـــــع والنبل ... وأبدي من الصـــبًا ريعـــانه
لا تصيخي له فـكم في خداع ... يتوارى إذا أفـــاض بـــــبانه

أنت في صفحة الكـرامة وشي ... أنت للمـــجد دُرَّةٌ وجـــــمانه
أصنعي الجيل مستقيماً خـلوقاً ... يتولى في النـــاس أعلى مكانه
بيد النشــــئ دينُ أحمد يـسمو ... فاحفـظيه كي لا ينـــال المهانـه
وإذا هان .. رُبَّ حرب ضروسٍ ... هدَّمتْ في سُعــــارها أركــانه
ربما صار معولاً يـــهدم بـصرح ... وتغدو أحـــــلافه أعـــرانه
وتحل المأساة ينـــــقلب الأمـ ... ـــر ويـــردي بكـفه ســـلطانه

بنت أمي كـــوني المثال كريماً أنت فـــردوس ظلّلت ولدانه
أنتِ نبع وأنت مـرج نـــضير فاسـعدي الجيل وارهفي وجدانه
فاحـــذري من يقول هذا زمان فـــيه حـــرية وأنـــت المهانه
وينـــادي هُبّي لعيش طليق أنت في السجن صدّعي حيطانه

فاحذريه فأنت شمس أزاحت حلكة الـــليل واستوت مزدانه
لك في سرِّكِ الأمين مـقام فاللآلئ في العقد تبقى مصانه
فارفعي الرأسَ عالياً بسلوكٍ جعل النُّبْل والهـدى تيجانه
وتحدَّى من طبعُهُ يتـــــجلى بـخداع يخـــــفي به بهـتانه

أي حـــرية تفـــيد إذا ما خسر المرء نبـــله واتـــزانه
فأجيـــــبيه في تحـدٍّ جريء واكشفي في صـــراحة بهـرجانه
لـم يعد ينــــطلي كلام عميلٍ ظهر الخبـــث مفعـــماً بالمهانه

بنت أمي فأنت أسمى وأرقى أنـــت ركن للبـــيت أنت كـيانه
أنت قـطب يدور حـولك من شـ ـــبُ كريماً مطـــهَّراً دورانـــه
سكن أنت للذي يبقي اللّـ ـــه منيباً معـززاً إيمـانه
فدعي دَرْبَ من يودّ لكِ الســـ ـــوء وسيري في عفة ورصانه
والفظـــيه فـــما أرادك إلا مضـــغة لاكها بدَرْب المجـــانه

إنه الرجس لم تفده علومٌ　　　إنه الشر مُطْلَقاً ذئبانه
وارتقى سدة الكرامة والعفـ　　　ـة والدين والتقى والأمانه

وبعــــد:

فهذه مواقف حية فيما يتعلق بدور المرأة في الإسلام، حيث هيأت لها تعاليمه مكانة مرموقة، ويقابلها مواقف أخرى لنساء غير مسلمات، عشن كما يعيش غيرهن، ولكنهن تبرئن مما آلت إليه المرأة في بلادهم من ذلة ومهانة، ومما دفعت إليه من أعمال أفقدتها مكانتها الأساسية.

وأتيح لبعضهن أن يناقشن ويقارنّ حالتهن بحالة المرأة في الإسلام، فتاقت نفوسهن وشهدت بالحق، لأنهن لم يجدن ما يعوضن إلا في منهج الإسلام، وبما هيأه للمرأة المسلمة من مكانة.

عرفت بعض هذه الحاكايات عن كثب أثناء أسفاري بالقراءة والنقاش، وأدركت كما يدركه كل عارف وفاهم لتعاليم الإسلام، ما تنطوي عليه تلك الشريعة من أمور عميقة قد يخفى علينا كثير من أسرارها.

وبالمقارنة والحوار مع الآخرين ندرك بعض الأسرار الكامنة خلف تعاليم ديننا والحكمة البالغة التي يصلح بها الناس

والمجتمع من تتبع هذا الدين.

ونقل جزء من الصور الكثيرة، والتعريف بالقلق الذي تعيشه المرأة عندهم، وما يقصد إليه أعداء الإسلام بالمرأة المسلمة في حرب مستمرة، وأعمال متواصلة، مما يزيد الرابطة بهذا الدين، وما فيه من حكم بالغة وأسرار دقيقة.

والمرأة هدف قصد نحوه أعداء الإسلام ليستغلوها في الإعانة بإفساد الدين من داخله، والمجتمع بنكوص العنصر الهام فيه وهي المرأة، ولا سبيل للوقوف ضد أعداء الإسلام إلا بتوعية المرأة، لتقف سداً منيعاً ضد مخططاتهم، حتى يرد الله كيدهم في نحورهم، فهي حصن حصين يقي الله بها المجتمع بأبنائه شروراً كثيرة متى صلحت. إن وعي المرأة لأمور دينها مما يزيدها علماً وثقافة، ويرفع مكانتها في البيئة بأسرها وبوعي المرأة يعي المجتمع ما له وما عليه.

فالمرأة هي ربان السفينة في المجتمع الإسلامي لأن صلاحها ووعيها من صلاح المجتمع ووعيه، ونساء المسلمين في كل عصر فيهن الخير والبركة، ولديهن الإدراك والفهم.

ولولا ذلك الإدراك لما كانت مكانة المرأة تزداد تحسناً ورفعة، ولما رأينا أفكارها النيرة المستمدة من شريعة الإسلام

وتعاليمه تتسع دائرتها يوماً بعد يوم، مما يفرح الأصدقاء ويخيف الأعداء.

ففي كل حين تخرج أصوات نسائية للتوعية والتبصير، وتبرز مكانة المرأة بوعيها وإدراكها لما يحاك في الخفاء من أمور، وما يدبر في الباطن بالمجتمع الإسلامي، التي جعلت المرأة هدفه الأول. ومقصده المراد.

وهي لن تكون ضحية للمكائد إلا في حالة ضعف منها، هذه الخصلة التي لن تكون إلا بالتخاذل في تطبيق تعليمات دين الإسلام، لأن الإسلام هو سلاحها قوة وضعفاً، القوة بالتمسك به والحرص عليه، والضعف بالتساهل في تطبيقه والعمل بمقتضاه.

وواحدة من نساء القرن قبل الماضي، حيث توفيت منذ ١١١١هـ أدركت ما يريده أعداء الإسلام بأختها المسلمة، فرفعت صوتها ناصحة وداعية بقصيدتها المدونة هنا لنستدل بذلك على أن الخير والشر قديماً من قدم الأزل .. يرتفع صوت الشر عند خمول الخير ونكوص أهله، وينخذل الشر عندما تقوى مكانة الخير والدعاة إليه.

والإسلام بشرائعه كله خير ويدعو إلى الخير، وما الحرص

عليه إلا دعامة قوية من دعائم الخير الذي رضيه الله لعباده،
وسعدت به نفوسهم ومجتمعاتهم في كل زمان ومكان.

«حماية الإسلام للمرأة»

قد يغفل بعض الناس أو يتعامى عن تعاليم الإسلام ودورها في حماية الفرد والجماعة من المشكلات والمنغِّصات، إما عن تقليد أو جهل أو عن قصر نظر، وكل من هذه الحالات شرّ يجب توقِّيه.

وإذا التمسنا لمختلف فئات المجتمع أعذاراً، فإن حملة الشهادات العليا، ومن أهَّلتهم الألقاب العلمية التي حصلوا عليها لتبوؤ مراكز القيادة التوجيهية، لايعذرون فيما يعبرون عنه من رأي، أو يدلون به من مساهمة، وهم الذين حملوا أمانة التبليغ والتوجيه، وهيأتهم ألقابهم ليكونوا في منبر الريادة والتعليم، ذلك أن أخطر أمر يحدثُ شرخاً في المجتمع هو زلة العالم.

ولقد عرف عن كثير من علماء الإسلام الأوائل، وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة: التواضع والتراجع إذا استبان لهم الرشد، أو ظهر من أعمالهم الزلل والخطأ. فيقولون: ما وافق من كلامنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فاعملوا به، وما عارضهما فاضربوا به عرض الحائط.

أقول هذا عندما أجد آراء من هنا وهناك لرجال نصبوا من أنفسهم محامين يدافعون عن حقوق المرأة، ويفسرون الواقع التاريخي بمعايير مستوردة تتنافى مع حقيقته الثابتة، والمصادر الشرعية التي يستمد منها المسلمون تعاليم ما يجب عليهم. لأنهم تأثروا بمن تلقّوا عنهم، فأصبحوا صدى لآرائهم، وأبواقاً لأفكارهم، حيث ظهر قبل هذا في آراء طه حسين عندما أصدر كتابه: الأدب الجاهلي في عام ١٩٢٤م، الذي أحدث ضجة كبرى، فخرجت ردودٌ كثيرة عليه تستهجن ما تبنى من آراء، وما حاول به طمس معالم تاريخية وأمور عقدية وبعد خمسين عاماً ترجم إلى العربية كتاب لأستاذه المستشرق مرجليوث، فإذا هو صاحب الفكرة، وإذا بالدكتور طه حسين واجهة لذلك الرأي.

وما ذلك إلا أن أعداء الإسلام يجبنون عن المواجهة فيجدون في طلاب الشهرة من تلاميذهم من يندفع بتلك الآراء بتأثير وتشجيع أولئك المعلمين، ودفعهم بحماسة لإظهار تلك الآراء.

وفي صحف اليوم وكتب الرسائل العلمية التي قدمت هناك يلمس أبناء المسلمين أنهم قد غزوا في عقر دورهم بمثل تلك الآراء المدسوسة، ووجهات النشر المؤثرة، التي كثر تسربها بين

أبناء وبنات المسلمين وخاصة في مراحل الدراسة الجامعية، لأنهم الأرض الخصبة لغرس تلك السموم، والاستجابة لها.

وبين يديّ نماذج كثيرة لمحاولة طعن الإسلام بخناجر أبنائه المنتمين إليه والمتسمين بأسماء إسلامية، وما أكثرهم في بلاد الإسلام الواسعة، وعلى وجه المعمورة دون تخصيص، ولن أسمي أحداً بعينه أو بلداً بذاتها، لأن الهدف هو الوصول إلى الحقيقة، وتحري طريق الصواب والاسترشاد إليه، لا التشهير والإساءة، أخذاً من منهج رسول الله ﷺ عندما يقول: «ما بال أقوام يعملون كذا» ولنا فيه أسوة حسنة.

في هذه الحلقة سيكون الحديث عن شبهة حول المرأة: فلقد نشر أستاذ جامعي مقالاً في صحيفة الجامعة المنتمي إليها تحت عنوان: المرأة وحركة الوعي. بدأه بقوله: «كانت المرأة وحتى وقت قريب أسيرة العزلة المضروبة من حواليها، إذ كانت نظرة الرجل إليها لاتتعدى جدران المطبخ، ولا يتجاوز دورها متطلبات المنزل والأسرة .. وكان عقلها مقيداً، وأفكارها حبيسة بداخلها، فاقتنعت بوظيفتها كمخلوق يحيا على رصيف الفكر وصنع الحياة، واكتفت بهذا الدور وصدقته ولها العذر، فعصر الحريم آنذاك هشّ وظيفة المرأة وسلبها القدرة على

التفكير، وجدت المرأة نفسها داخل أطر مصممة سلفاً، عجزت عن الانفلات منها، فاستسلمت لأنها مخلوق مكمل وليس بالأساس أو الجوهر» إلى آخر ما جاء في ذلك المقال الذي هو دعوة سافرة لأن تخرج المرأة المسلمة إلى نمط من الحياة هو أوسع مما كانت فيه في ديار الغرب التي درس فيها مثل هذا الكاتب.. وهذا من ضريبة التعليم في بلاد الغرب والارتواء من ثقافاتهم والتشبع بأفكارهم.

وكأن الكاتب بعيد الصلة بما أضفاه الإسلام على المرأة من مكانة، فقدتها في التاريخ قبله، حيث كان العرب يئدونها حية، والرومان يبيعونها مع أثاث المنزل، فيرثها الأبناء وغيرهم كقطعة من مخلفات المتوفى، واليهود لايلقون لها بالاً إلا للمتعة والنسل كسائر الحيوانات، فقد سلبوها مقومات الحياة حتى أذلوها وأهانوها.

وهذا الكلام ليس من عندي حتى يقول هذا الكاتب وأمثاله إنه تعصب لوجهة نظر، ولكنه تقرير من باحث غربي هو: بول ديورانت الذي هاجم الإسلام في مواضع من كتابه الموسوعي: قصة الحضارة.. متأثراً بآراء المستشرقين والغربيين في نظرتهم نحو الإسلام، لكنه قال الحقيقة عن دور الإسلام في حماية

المرأة، والرفع من مكانتها، وإعطائها حقوقاً أعلت من قدرها، وتاقت لمثلها نساء الغرب في عصر المؤلف وحتى اليوم، فقال الحقيقة لذات العلم والأمانة، فإن الكاتب بمؤهله الكبير لم يقرأ مثل هذا، فلعله قرأ ما نشرته الصحف الأمريكية قبل عامين عن ضجة أحدثتها إحدى الصحفيات عندما هاجمت الكنيسة، ورجال الدين النصارى لتقول لهم: أين حقوق المرأة التي قلتم عنها بأنها تساوت بين الرجل والمرأة، بينما لانجد في أناجيلكم ذكراً لها البتة، واحتجت الكاتبة بالقرآن الكريم الذي خاطب الرجل والمرأة على حد سواء، في مواطن كثيرة، وأنزل الله فيه أحكاماً شرعية تخص المرأة، كما أعطيت المرأة حقوقاً كثيرة في التشريع الإسلامي في المال والتملك والواجبات والعبادات والأحكام المختلفة، بينما الأناجيل تخاطب الرجل وحده، وكأن المرأة لاوجود لها في حياتكم.

وقد دفع كلامها هذا، والتعصب لها من أصحاب الفكر هناك رجالاً ونساء إلي اجتماع رجال الكنيسة والخروج بقرار جديد - كما هي عادتهم - عدلوا بموجبه نصوص أحد أناجيلهم، وخاطبوا فيه المرأة لأول مرة، وطبعت هذه النسخة المعدلة ووزعت.

إن الإسلام لم يكن حجاباً يمنع المرأة من المشاركة في بناء المجتمع، أو يقصرها على المطبخ كما يفهم الكاتب، بل لايكفي أن نقول عن صحفية القرن العشرين، إنها طلبت المساواة بالمرأة المسلمة في الأمور الدينية، والحقوق والواجبات، ذلك أن أصواتاً كثيرة في نساء الغرب، ولدى مفكريهم تنادي بحماية المرأة في بلادهم من منطلق حماية الإسلام لها، كما نادوا من قبل بأن الإسلام قد حمى حقوق الإنسان قبل دعواتهم لذلك.

- فالإسلام جعل المرأة سكناً للرجل تتحمل عنه متاعب الحياة، وتعينه على تخطي العقبات كما قال تعالى: :﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ {سورة الروم آية ٢١}. ولذا قالوا في أمثالهم: خلف كل رجل عظيم امرأة.

- والإسلام خاطبها مع الرجل بعبارات واحدة تدل على مكانتها العقلية، ودورها الفعال في المجتمع الإسلامي فقال تعالى: ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين

والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ [سورة الأحزاب: آية ٣٥].

- والإسلام جعل للمرأة حقوقاً وأعطاها واجبات، وحملها مسئولية كبيرة في البيت والتربية ورعاية الأولاد والتملك فقال سبحانه: ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليه درجة ﴾ سورة البقرة: آية ٢٢٨].

- والإسلام أوجب على الأبناء بر آبائهم، وأوصى بالأمهات أكثر وأعطى لهن أولوية البر والإحسان، وحث على الاهتمام بالزوجة، ورغب في رعاية البنات وحمايتهن وتوجيههن حتى يتزوجن» «الجنة تحت أقدام الأمهات» [حديث رواه البخاري ومسلم] «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله» [رواه الترمذي] وقال ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن فله الجنة» [أخرجه أبو داود والترمذي].

- وحمى الإسلام المرأة بالحجاب لتكون جوهرة مصونة، يحفظها عن الأذى والتبذل، ويحفظها عن الإهانة التي تجدها

في بلاد الغرب والشرق، فما أكثر ما نسمع ونقرأ في وسائل إعلامهم عن الإعتداءات على النساء. فقال تعالى في حكمة التشريع: ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ [الأحزاب آية: ٥٩] بعد أن ذكر الله إدناء الجلباب في الآية قبلها.

- وفرض الإسلام حق الولاية والنفقة للمرأة على الرجل حسب قرابته فقال تعالى: ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾[١] [النساء: آية ٣٤]، وحفظ حقها إذا أرضعت ولدها من زوج طلقها قال تعالى: ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ [البقرة: آية ٢٣٣].

وهكذا لو سرنا مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته، فإننا سنراها تحمي المرأة وتعلي قدرها، وتحفظ حقوقها، حيث برز في عهود الإسلام المختلفة نساء كان لهن دور جيد في بناء المجتمع وإسهامات كبيرة في إرساء دعائم تكوينه.

فكيف بكاتب كهذا يأتي ليقول عن المرأة: بأنها أسيرة العزلة المضروبة من حواليها.. كأني به وبأمثاله يتجاهلون دور الإسلام وتشريعاته، أو كأنهم يتحدثون وهم المنتسبون للإسلام

- من عالم غير عالم الإسلام، وبثقافة غير ثقافته.

إن مكانة الإسلام وتشريعاته التي حماها الله: بحفظ كتابه عن الأيدي العابثة، وبما هيأ للسنة الكريمة من يدافع عنها، وينفي ما أدخل عليها، هذه المكانة تبرز في عمق هذا الدين، ودلالة ما تنطوي عليه شريعته من أمور تتجلى في دور المرأة بما أعطيت من قدر، وما أحيطت به من رعاية، وما أدته من أعمال في تاريخ مسيرتها منذ أشرقت أنوار الرسالة من بطاح مكة، وحتى يومنا هذا، ولايتحمل حيز كهذا تعداد ذلك، لكن من يقرأ ويعقل بروية وتفهم، يدرك تلك الأعمال الجليلة التي قامت بها المرأة في بناء الفرد والجماعة، وأمهات المؤمنين، ونساء الصدر الأول في تاريخ الإسلام، خير شاهد على ذلك.

وقد جمع عمر رضا كحالة أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام في خمسة مجلّدات تضم ١٩١٨ صفحة عدا الفهارس، حوى معلومات عما يقرب من ثلاثة آلاف امرأة، أدّين أدواراً كبيرة في البناء الفكري والعلمي، وهن جميعاً وبطبيعة الحال كن موجودات على مسرح الحياة، قبل أن تتفتق عبارات أمثال هذا الكاتب ممن يحاولون طمس معالم الإسلام، وما في شريعته وتاريخه من مثاليات ساهمت فيها المرأة

المسلمة بدافع من دينها، وحماية من شريعة الله لها.

والعدد الذي ذكره عمر رضا كحالة ما هو إلا نموذج لمكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، حيث تسير وفق قيود تعاليم الإسلام، التي وضعت الضوابط لتكوين سياج من الحماية والإدراك، والرعاية والفهم، لكل من ينشد الحقيقة، ويبتعد عن الهوى والانسياق.

وقد بدأت الحملات على عهد الحريم مقترنة بالحملة الشرسة على الخلافة العثمانية، وحرص المستعمر الغربي على تقسيم ممتلكاتها غنيمة بينهم، ومن ذلك الحين أصبح تمسك المرأة المسلمة بحجابها وحيائها قذى في عيون أعداء الإسلام، فهم يريدون للمرأة المسلمة الإنفلات من تعاليم دينها وقيمه، كما انفلتت المرأة في بلاد الغرب والشرق، حيث ضاعت الرقابة، وتركت وحدها في الميدان، تصارع الأمواج، بحثاً عن لقمة العيش التي حرمتها إلا من كدٍّ يدها، وعرق جبينها، حيث رسمت القوانين التي تحملها مسئولية نفسها بعد الثامنة عشرة أو قبلها بقليل أدبياً ومادياً، حتى أن الأب يفرض على ابنته نصيبها من المصروف اليومي، وأجرة المنزل أسبوعياً، بحجة أنها أصبحت قادرة على رعاية نفسها وحمايتها، وقد طفحت

ثقافاتهم وصحفهم بأخبار الضياع والفوضى اللتين وصلت إليهما المرأة، وقد وجدت في العمل المفروض عليها مخرجاً، ولكن بضريبته نفسياً وصحياً، مع ضعف الأجر وإهانة الكرامة.

فهل يراد للمرأة المسلمة، وللمجتمع الإسلامي هذا المنحدر، الذي ضج منه عقلاء الغرب، وأبانوا عيوبه، أم هي المسارعة بالأمة إلى أمر سيحصل حتماً كما أخبر بذلك الصادق المصدوق في قوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم. قلنا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن» [أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه] فيتحمل الداعي لذلك إصرها، وعلى العاقل أن يتنبه، فقد أضاء الدكتور محمد علي البار معالم الطريق المتردي للمرأة في بلاد الغرب، بمقال نشر في مجلة الفرقان المغربية، عددها العاشر تحت عنوان: الابتزاز الجنسي للمرأة العاملة في بلاد الغرب، فأحيل الكاتب إليه إن كان ممن يقرأ ليعرف الدور الذي يراد بالمرأة المسلمة الانسياق إليه، عن عمد أو جهل وتقليد. كما أحيله على كتاب صدر عن الدار السعودية بجدة للنشر والتوزيع باسم: عمل المرأة في

الميزان، وغيرهما كثير ليزيد من ثقافته وحصيلته.

أما إذا كان ممن لايقرأ إلا باللغة التي تثقف بها، فإن عليه أن يقرأ مثلاً مجلة النيوزويك الأمريكية في عددها الصادر يوم ١٧ مارس سنة ١٩٨٠م في تحقيقها الهام بعنوان: سوء استخدام الجنس في المكاتب، وكتاب الابتزاز الجنسي تأليف: لين فارلبي الذي صدر في نيويورك عام ١٩٧٨م ثم طبع في لندن عام ١٩٨٠م حيث أثار ضجة كبرى في أميركا لأنه أخرج قضايا التلاعب بالمرأة باسم العمل من طي الكتمان إلى الأضواء الكاشفة بقصص وحكايات حيّة معروفة أسماء وأماكن المتعلقين بها، وقد تحدثت عن الكتاب كبريات الصحف الأمريكية واعتبرته أهم ما صدر في هذا الباب مطلقاً. وغير ذلك مما برز في حياتهم وأصبح قضية مهمة يبحثون لها عن علاج.

ولن أذكر نماذج مما جاء في هذا الكتاب، أو تلك الصحيفة، بل يكفي أن أقول إن امرأة ألمانية زارت مع زوجها العربي المسلم بلاده، ورأت مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي المتشبع بتعاليم دينه، وحرص الأبناء على البر بأمهاتهم، كما أمرهم دينهم، فقالت: إن المرأة في الإسلام ملكة غير متوجة، فهنيئاً

لها هذه المكانة التي تحسدها عليها نساء الغرب.

ومن أراد التعبير الصادق عما وصلت إليه نساء الغرب فليزُر الملاجئ ودور العجزة، وليسمع بنفسه، وليحكم عقله أيهما أجدى للمرأة: ما أعطاها الله.. أم ماحرمتها منه البشرية بقوانينها المجحفة.

إن رسالة القلم والفكر أمانة، ويجب أن تكون هذه الأمانة مخلصة وصادقة، فلا تستعمل في غير مكانها، وسوف يسأل كل واحد منا أمام الله عما قصدنا وعما عملنا. ولعل هذا الكاتب وأمثاله وهم كثيرون في البيئة الإسلامية - بكل أسف - يراجع نفسه ويتبصر في أمره، ويجعل مصدر التشريع في الإسلام هوالمعين الذي يأخذ منه، والمنبع الذي يستقي منه في الحكم والمعرفة والدعوة، وتحكيم العقل والعاطفة.

فالسعيد من وعظ بغيره.. ولعل مثل قصة الشاب الذي دخل على رسول الله ﷺ وهو في مجلسه مع أصحابه قائلاً: يارسول الله إئذن لي في الزنا؟! عبرة وهداية فلقد تأثر الصحابة، وكادوا يضربون الشاب، لولا أدبهم مع رسول الله ﷺ ، وإشارة منه بيده الكريمة. فانصرف عنه الرسول الكريم ﷺ حتى هدأت نفسه، ثم التفت إليه.. فقال له: ماذا قلت؟

فأعاد السؤال مرة أخرى.. فقال رسول الله ﷺ بأسلوب تعليمي رفيع: أترضاه لأمك. فقال: لا. فقال له: أترضاه لأختك.. أترضاه لبنتك، وعدد عليه الرسول ﷺ بعض قرابته، وفي كل مرة يقول الشاب: لا فقال له ﷺ : الناس كذلك.

إنه أسلوب توجيهي يجب أن نضعه نصب أعيننا في كل موقف، فالرسول ﷺ هو قدوتنا ومعلمنا.. فبتوجيهه نسير، وعلى خطاه نترسم، إذ لم يدع خيراً إلا دلّ الأمة عليه ولا شراً إلا حذرها عنه.

الفهرس

من منشورات دار الصحوة

من مؤلفات الدكتور يوسف القرضاوى

- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه
- أين الخلل
- الوقت فى حياة المسلم
- الفتوى بين التسيب والانضباط
- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والإسلامى

من مؤلفات الأستاذ وحيد الدين خان

- قضية البعث الإسلامى « المنهج والشروط »
- حقيقة الحج
- تجديد علوم الدين
- واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام

من مؤلفات الشيخ محمد الغزالى

- سر تأخر العرب والمسلمين
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية
- جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج

من مؤلفات الدكتور عبد الحليم عويس

- الإسلام كما ينبغى أن نؤمن به
- فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية
- تفسير التاريخ علم إسلامى

- ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة

من مؤلفات الشيخ أبو الحسن الندوى

- المدخل إلى الدراسات القرآنية : مبادىء تدبر القرآن والانتفاع به :
  أضواء على وجوه الإعجاز للعلوم القرآنية
- الإسلام أثره على الحضارة وفضله على الإنسانية
- دور الإسلام الاصلاحى الجذرى فى مجال العلوم الإنسانية
- شخصيات وكتب أثرت فى حياتى

من مؤلفات الدكتور محمد بن سعد الشويعر

- حماية الإسلام للمرأة
- تطبيق الشريعة طريق الأمن والعزة

● ● ●

من مؤلفات كبار علماء العالم الإسلامى

- شريعة الإسلام فى الجهاد والعلاقات الدولية
  أبو الأعلى المودودى
- مؤشرات حول الحضارة الإسلامية
  دكتور عماد الدين خليل
- المرأة فى منظور الإسلام
  الدكتور حسين مؤنس

رقم الإيداع
٨٨/١٨٩٨

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ١٤٣١ - ٣٢ - ٦

هـذا الكتـاب

إن من الأشياء التى يعيبها الغرب على المجتمع الإسلامى ، أو يحاول جاهداً إثارتها ليبلبل الأفكار ، ويحرك به شعوراً لدى أصحاب الجنوح المائل ، والنزعات المختلفة ، والأمزجة المتباينة : فكرة تحجب المرأة المسلمة ، واستقرارها فى بيتها ، وعدم تبرجها .

ثم يسعون جاهدين لتغيير هذا الطابع المميز ، الذى حفظ للمرأة كرامتها ، وأبقى على وقارها، ورفع من قدرها ، وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .

وهذه شبهات يثيرها أعداء الإسلام فى كل مكان ، وسوف يكون لنا معهم بإذن الله وقفات عديدة ، ننقل فيها نماذج واقعية لما آلت إليه المرأة هناك ، كبرهان على ضياعهم ، وما شهدوا به لحالات المرأة المسلمة التى حفظها الله بتعاليم دينه ، كدليل على مكانتها ، وسمو تعاليم الإسلام .



دار الصحوة
٧ ش السراى بالمنيل . ت : ٩٢٤...
حدائق حلوان . ت : ٨٨٠٧١...
القاهرة

مطبعة المدينة - ت: ٩٨٣٢٥٩